سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (34) | 13 / 5 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

الاقتصاد السوري يتجه إلى الانهيار إثر الهبوط الشديد في الودائع والقروض

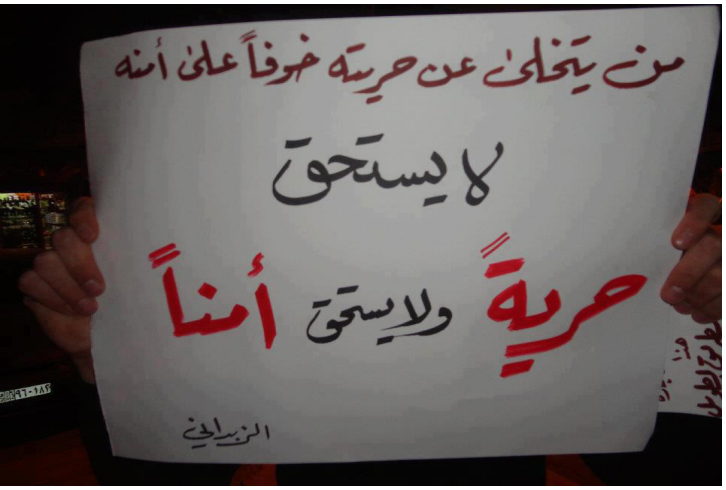

يتداعى الاقتصاد السوري من حول الرئيس بشار الأسد، حيث انخفضت الودائع بمعدل 35 في المائة عام 2011 في «بنك سوريا والمهجر» و«بنك عوده سوريا» و«بنك بيمو السعودي الفرنسي»، طبقا للتقارير الصادرة عن سوق دمشق للأوراق المالية في شهر أبريل (نيسان). تشير التقارير الصادرة عن المصارف الثلاثة هبوط معدل الإقراض بنسبة 22 في المائة في العام الماضي، بينما تؤكد «وحدة الاستخبارات الاقتصادية» احتمال انخفاض الاحتياطيات الأجنبية لدى مصرف سوريا المركزي إلى 10 مليارات دولار في العام الراهن، وهو نصف الرقم القياسي الذي وصلت إليه في عام 2010. تتزايد آثار الثورة السورية، التي دخلت شهرها الرابع عشر وأدت إلى مقتل أكثر من 9. 000 شخص، على الاقتصاد ومجتمع رجال الأعمال، الذي يتكون معظمه من السنة الذين يشكلون الغالبية العظمى من الشعب السوري. وقد يتزايد دعم رجال الأعمال للأسد، الذي ينتمي للطائفة العلوية التي تعد أقلية في المجتمع السوري، بسبب التدهور الذي يشهده الاقتصاد السوري.

وفي مقابلة أجريت معها عبر الهاتف، أكدت عائشة سابافالا، خبيرة اقتصادية في «وحدة الاستخبارات الاقتصادية» في سوريا، أنه في حال «عدم تمكن الحكومة من التوصل إلى سياسة مناسبة لوقف التدهور الاقتصادي، فقد يدرك رجال الأعمال السوريين في مرحلة معينة أن دعمهم لبشار الأسد نفسه يعد أمرا باهظ التكلفة».

انخفضت قيمة الليرة السورية بشدة، حيث وصل سعر الدولار إلى 68 ليرة تقريبا، مقارنة بـ47 ليرة قبل اندلاع الثورة في شهر مارس (آذار) 2011، طبقا للبيانات الموجودة على الموقع الإلكتروني لمصرف سوريا المركزي، بينما تقوم شركات الصرافة غير الرسمية على الجانب اللبناني من الحدود مع سوريا ببيع الدولار بـ72 ليرة سورية تقريبا.

تشير تقديرات «وحدة الاستخبارات الاقتصادية» إلى احتمال تعرض الاقتصاد السوري للانكماش بمعدل 5. 9 في المائة في 2012، مقارنة بمعدل انكماش بلغ 3. 4 في المائة في 2011، على خلفية الاضطرابات، بينما قد يرتفع معدل التضخم ليصل إلى 14. 7 في المائة في 2012، مقارنة بـ4. 8 في المائة في 2011.

صرح وزير النفط السوري، سفيان علاو، للوكالة العربية السورية للأنباء، يوم الاثنين، بأن قرار الاتحاد الأوروبي بوقف استيراد النفط السوري الخام في العام الماضي قد أدى إلى تراجع أحد أهم صادرات البلاد، وهو الأمر الذي أدى إلى خسارة سوريا لعائدات بقيمة 3 مليارات دولار. تقوم وسائل الإعلام الحكومية ببث تقارير بصورة منتظمة حول الهجمات «الإرهابية» التي تتعرض لها خطوط أنابيب النفط في البلاد، والتي كان آخرها الهجوم الذي وقع في محافظة دير الزور في الأسبوع الحالي.

ووصل إنتاج النفط في سوريا إلى 380. 000 برميل يوميا، منها 150. 000 برميل كان يتم تصديرها، قبل العقوبات التي تم فرضها على القطاع.

يقول جارمو كوتيلين، كبير الخبراء الاقتصاديين في البنك الأهلي التجاري، أكبر المصارف السعودية من حيث الأصول: «دخل الاقتصاد السوري في دوامة من التراجع والهبوط قد تستمر لفترة طويلة. وفي حال استمرار تلك الدوامة، سوف يضطر الجميع، بما فيهم الحكومة والأفراد، إلى اللجوء لطرق أكثر بساطة لممارسة الأعمال، وهو السيناريو الذي لا يعد مثاليا».

ولم تقم سوريا ببيع أي سندات منذ شهر فبراير (شباط) من العام الماضي، طبقا للبيانات الموجودة على الموقع الإلكتروني لمصرف سوريا المركزي.

ويقول عبد الحافظ عطاسي، يبلغ من العمر 31 عاما ويعيش في دمشق ويمتلك شركة لتوزيع الأغذية، إن شركته تكاد تنهار تقريبا. يضيف عطاسي، عبر مكالمة هاتفية أجريت معه من العاصمة السورية دمشق يوم الأحد: «الوضع شديد السوء، حيث يصعب الحصول على أي شكل من أشكال التمويل. ونظرا لأن كافة بطاقات الائتمان في سوريا بالدولار الأميركي، يجد الناس صعوبة في سداد ديون بطاقات الائتمان في الوقت الراهن بعدما فقدت العملة السورية 30 في المائة من قيمتها».

كما قامت المصارف في لبنان، بإيقاف كافة المعاملات مع المصارف السورية، امتثالا للعقوبات التي أقرتها الأمم المتحدة، طبقا لغيث منصور، رئيس أسواق رأس المال في مصرف «الاعتماد اللبناني».

ويقول منصور: «على الرغم من قوة العلاقات مع النظام السوري، لا يستطيع لبنان، من الناحية السياسية، تحمل تبعات مخالفة أي من قرارات مجلس الأمن».

تقول سابافالا: «تم تعليق معظم قروض التجزئة أو عمليات الإقراض، لن يستطيع السوريون تسديد ديونهم لهذه المصارف، لأن المبالغ التي يدينون بها للمصارف في الوقت الحالي ستكون أعلى بكثير من المبالغ التي كانوا يدينون بها عندما حصلوا على هذه القروض لأول مرة، نظرا لانخفاض قيمة العملة السورية، الأمر الذي يعني أن تلك المصارف على وشك المعاناة من معدل مرتفع للغاية من القروض غير العاملة».

وفي إحدى المقابلات التي أجريت معه، قال سلمان شيخ، مدير مركز بروكنجز الدوحة، إن تضييق الائتمان وتباطؤ الاقتصاد لهما «تأثير نفسي كبير على هؤلاء الأشخاص الذين لم يتخذوا قرارا بعد، مثل مجتمع رجال الأعمال، الذين لا يزالون يساندون النظام».

يضيف شيخ: «هل يواجه القطاع المصرفي خطر الانهيار؟ أعتقد أن هذا الأمر وارد، حيث يستخدم الأسد كل الأموال التي يستطيع تكديسها في هذه الحرب، ويستنزف موارد بعض القطاعات الأخرى مثل قطاعي التعليم والمالية. لا يمكن أن يستمر هذا الوضع للأبد».

مسرحية عن تعذيب المعتقلين في سوريا على مسارح كوريا الجنوبية

«هلا نظرت إلى الكاميرا من فضلك»

تدفن امرأة احتجزت في سجن سوري رأسها بين ذراعيها وتلاحقها وجوه من باعوها وسلموها للحكومة، بينما ينظر رجل في مرآة ليرى آثار التعذيب على جسده. والمشهدان جزء من مسرحية تقدمها فرقة سورية.

لا تقيم كوريا الجنوبية علاقات دبلوماسية مع سوريا، مما جعل وصول فرقة مسرحية سورية إلى سيول أمرا صعبا. وبدأ التعاون الفني غير المعتاد العام الماضي عندما كان المخرج كانغ سيوك والمنتج كيم يو أهين يبحثان عن عمل يختتمان به سلسلة عن المهمشين في العالم. وقال كيم «كنا نبحث عن مسرحية يمكن أن تبرز أناسا يقفون على الحافة».

والتقى الاثنان المخرج السوري الشاب عمر أبو سعدة الذي كان يسعى آنذاك لإخراج مسرحية حول استخدام الشبان في الشرق الأوسط لوسائل التواصل الاجتماعي لإطلاع العالم على الوضع في بلدانهم أيام الربيع العربي وما تلاها.

وقال كيم «كان أبو سعدة يحاول الحديث عن جيل الشباب في الشرق الأوسط الذي يكافح ويشارك في الثورات، فأدركنا أننا وجدنا ضالتنا».

وكانت النتيجة مسرحية «هلا نظرت إلى الكاميرا من فضلك». وتحاول فيها شخصية نورا، وهي مخرجة أفلام هاوية، أن تسجل في الخفاء شهادات أشخاص اعتقلوا جورا، لكن الشرطة تقبض عليها بسبب «جرائم»، منها توزيع منشورات وتحميل مواد على موقع «فيس بوك» للتواصل الاجتماعي. وتتقاطع الجمل الحوارية للممثلين في المسرحية – وكلها تستند إلى قصص حقيقية – مع لقطات من مقابلات مع معتقلين حقيقيين تعرض على شاشة في وسط المسرح، حسب «رويترز».

وقال سعدة: «من المدهش، رغم مثل هذه التضحيات، أن نرى الكثير من السوريين يشاركون في الثورة في سبيل نيل الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وتحقيق أحلامهم».

ولم يكن إخراج المسرحية إلى حيز الوجود سهلا أيضا.. فالممثلون كانوا يتدربون على المسرحية سرا في سوريا واضطروا للحصول على تأشيرات سفر عن طريق غير مباشر لعدم وجود علاقات دبلوماسية بين سوريا وكوريا الجنوبية. ولم تستكمل الاستعدادات لعرض المسرحية إلا قبل قليل من بدء العرض.

ومما زاد الموقف تعقيدا علاقات كوريا الشمالية مع دمشق. وأفادت تقارير بأن كوريا الشمالية لعبت دورا في المفاعل النووي السري السوري الذي دمرته إسرائيل عام 2007 وحاولت تصدير مواد كيماوية لاستخدامها في صنع أسلحة سورية في عام 2009 في خرق لقرار صادر عن مجلس الأمن الدولي.

لكن كيم وكانغ أصرا على التعاون مع أبو سعدة، وقالا: «إن دور شركة المسرح المعاصر هو عرض مثل هذه القضايا الصعبة على المسرح». واشتملت سلسلة المسرحيات هذا العام على مسرحية اسمها «الأخت موكران» وتدور حول لاجئين من كوريا الشمالية يعيشون في الجنوب. وتتناول مسرحية أخرى أشخاصا من أصل كوري يعيشون في اليابان.

وقال كانغ «أردنا عرض حياة الناس كما هي ونترك الجميع يفكرون في هذه القضايا معا».

ويعتزم المسرح الاستمرار في عرض المسرحية السورية على نطاق دولي أوسع، حيث من المقرر عرضها في وقت لاحق في الشرق الأوسط. ومن الممكن عرض المسرحية أيضا في أوروبا.

وعلى الرغم من شعور جمهور المسرح في كوريا الجنوبية بالصدمة من قصص التعذيب والإهانة، فقد بيعت كل تذاكر العروض تقريبا. ويرى كانغ أن المسرحية ربما مست وترا لدى الجمهور لأنها ذكرت الكوريين بعام 1980 عندما خرجت مظاهرات ضخمة في مدينة جوانجو احتجاجا على الديكتاتورية آنذاك.

وقال كانغ: «السبيل الوحيد للتأثير في جمهورنا وجعلهم يؤيدوننا هو أن نكون صادقين ومخلصين في ما نفعله».

اللاجئون السوريون في تركيا يخشون عدم العودة إلى وطنهم

سلطت صحيفة «يو أس أيه تودايّ» الأميركية، الضوء على اللاجئين السوريين في تركيا، قائلة إن عشرات الآلاف من اللاجئين إلى تركيا يخشون عدم رؤية منازلهم في سوريا مرة أخرى وأن يصبحوا لاجئين دائمين، مؤكدة أنه في حال توقف عقوبات الولايات المتحدة والبعثات الدبلوماسية من قبل الأمم المتحدة ضد الرئيس السوري بشار الأسد سيتم سحق المعارضة.

وقالت الصحيفة إن عبدالرحمن، 40 عاما، والذي أجبر على الفرار إلى تركيا بعد أن أحرقت القوات السورية منزله يعيش مع المنشقين عن الجيش السوري في منزل آمن في تركيا.

وأضافت الصحيفة أنه رغم قول الرئيس أوباما إن الأسد يجب أن يرحل فإنه لا يزال يحكم قبضته على سوريا بمساعدة قواته الغاشمة.

ونقلت الصحيفة عن عمار الشيخ عمر، أحد المنشقين عن الجيش السوري والذي يعيش الآن في تركيا، قوله: «اعتقدت في البداية أن الأمر سيستغرق شهرين أو ثلاثة كحد أقصى، أنا مندهش من طول هذه الفترة».

وقالت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين إنها قدمت مساعدات إلى ما يقرب من 70 ألف لاجئ سوري، بما في ذلك 24 ألفا في لبنان، و14 ألفا في الأردن، و25 ألفا في تركيا.

ونقلت الصحيفة عن المتحدثة باسم مفوضية اللاجئين بالأمم المتحدة، ميليسا فليمينج، أن البلدان المضيفة غير قادرة على التعامل مع العبء المالي المطلوب بالنسبة لهؤلاء اللاجئين.

ثم تحدثت الصحيفة عن الشيخ عمر قائلة إنه تزوج مؤخرا قبل أن ينضم إلى الجيش السوري في ديسمبر 2010 لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية، وعندما بدأت الانتفاضة، وصدرت أوامر بإطلاق النيران على جميع المتظاهرين فر إلى تركيا وانضم إلى الجيش السوري الحر.

ونقلت الصحيفة عن الشيخ عمر، قوله: «إنني خائف وقلق جدا بشأن مستقبلي. دائما ما أتساءل، لماذا لا أهاجر بصحبة زوجتي وابنتي إلى ألمانيا وأعيش هناك حياة طبيعية». وأضاف: «إذا لم نستطع إسقاط النظام الآن فلن يسقط أبدا، وسوف نعيش مثل الحيوانات إلى الأبد».

وفي مخيم للاجئين على الحدود التركية مع سوريا، صرخت سهير جوباري، وهي امرأة من حمص تعيش في المخيم منذ العام الماضي، قائلة: «لقد فقدت الثقة في جامعة الدول العربية، المجتمع الدولي، وكوفي عنان». في إشارة إلى الأمين العام السابق للأمم المتحدة والذي توسط لعقد هدنة ولكنها لم تنجح.

وأضافت سهير أن أبناءها الأربعة لا يمكنهم الذهاب للمدرسة؛ لأنهم ليسوا مواطنين أتراكا، فأطفالها الثلاثة الأصغر يذهبون إلى المدرسة في المخيم ثلاثة أيام أسبوعيا، بينما ابنتها الكبرى والتي كانت قد بدأت في دراسة الأدب في جامعة سوريا غير قادرة على استكمال دراستها.

ونقلت الصحيفة عن محمد عمر، 11 عاما، والذي كان يحلم أن يصبح طبيبا قبل أن يعيش بمخيم اللاجئين: «كثيرا ما نسمع الناس عبر شاشات التلفاز يتحدثون ضد النظام السوري، لكنهم لا يفعلون شيئا، السوريون يتعرضون للقتل كل يوم ولا أحد يفعل شيئا، الحيوانات تعيش بشكل أفضل مما نحن عليه».

النظام يرفض التقرير الأممي عن التعذيب في سوريا

رفضت السلطات السورية تقديم تقرير عن التعذيب إلى لجنة الأمم المتحدة لمكافحة التعذيب. وقد ناشد المجلس الوطني السوري المجتمع الدولي وضع حد لما أسماه إرهاب النظام ضد شعبه.

فقد رفضت السلطات السورية أن تقدم تقريرا عن التعذيب إلى لجنة الأمم المتحدة لمكافحة التعذيب التي من المقرر أن تناقش الأربعاء بمقرها في جنيف الوضع بهذا البلد.

وقال أمين سر اللجنة خواو ناتاف لوكالة الصحافة الفرنسية "لا يوجد أي ضمان لحضور وفد سوري لكننا أبلغنا بعدم تقديم أي تقرير". وأضاف "مع ذلك فالاجتماع العام سيعقد الأربعاء كما هو مقرر".

وكان رئيس لجنة مكافحة التعذيب بعث في 23 نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي رسالة إلى السلطات السورية يعرب فيها عن القلق من التقارير "الكثيرة" الصادرة من مصادر جديرة بالثقة وتشير إلى لجوء واسع إلى التعذيب بهذا البلد وحتى قبل اندلاع حركة الاحتجاج في مارس/ آذار 2011.

وكتب كلاوديو غروسمان أن "اللجنة تشير إلى أن هذه التقارير تتحدث عن انتهاكات مكثفة لحقوق الإنسان تجرى بدون أي عقاب".

كما طلب في هذه الرسالة من دمشق أن تقدم إلى اللجنة "تقريرا خاصا" يفيد بأن "الإجراءات التي اتخذتها الدولة في إطار التزاماتها بموجب الاتفاقية (ضد التعذيب) تطبق بصورة فعلية" إضافة إلى معلومات عن الأحداث الجارية في البلاد.

أوجاع وطن

الهوية السورية: الدكتاتورية همشت الانتماءات والثورة أغنتها

■ عدي الزعبي

تطرح الثورة السورية أسئلة فلسفية تتعلّق بالهوية السورية ومستقبلها. نظرياً، كانت للتيارات الفكرية السائدة نظرة إيديولوجية جامدة تجعل الهوية جوهراً خالداً أزلياً. ليست هذه إشارة لشعار حزب البعث الشهير الذي يقدّس الرسالة الخالدة، بل أيضاً لرسالة التيارات اليسارية والإسلامية. ترى هذه التيارات أن الهوية هي إما إسلامية بالمطلق، أو عربية بالمطلق، أو طبقية بالمطلق. رؤية اليسار مختلفة، لكنها بالمحصلة تقوم بإرجاع كافة البنى الفوقية إلى البنية الاقتصادية، حيث تبدو الطبقة التي ينتمي إليها الفرد، هوية.

مع وصول حزب البعث للسلطة، أصبحت الهوية العربية هي الوحيدة المعترَف بها. الجيل الذي نشأ تحت حكم البعث، خصوصاً بعد أحداث الثمانينات والقمع المفرط الذي طال كل وجوه الحياة، كان مطلوباً منه أن لا يصرّح بأية هوية أخرى مرافقة أو مكمّلة للهوية العربية. تم استبعاد الهويات الدينية والإثنية بشكل كامل، ودفع الثمن الإسلاميون والأكراد بدرجات متفاوتة تبعاً للظروف. أيضاً تعرّض اليسار لقمع غير مبرّر.

ولكن، وهنا النقطة التي أود إثارتها، استبعدت الهويات المحلية الطائفية والمناطقية بشكل كامل. في التسعينات، كان من المعيب، مجتمعياً، أن تجاهر بأنك شامي أو حوراني أو حمصي، ومن الخطير سياسياً، أن تجاهر بأنك علوي أو سُنّي أو درزي.

هذا الإفقار في مفهوم الهوية إلى الدرجة التي أصبحت فيها الهوية معنى فارغا يشير دائماً إلى فلسطين فقط لا غير، ولا يرتبط بأي ملموس على المستوى المباشر، أدّى إلى فكرة غريبة مفادها: أنّ من يجاهر بانتمائه المناطقي أو الطائفي هو حُكماً ضد العروبة، وبالتالي رجعي يُضمر الأذى لسوريا.

الخطأ الذي ابتدأ بالاستيلاء على السلطة من قبل حزب إيديولوجي، يرفض الاعتراف بوجود أحزاب أخرى لها رؤى مختلفة، امتدّ ليشمل الهويات الفرعية. هكذا حوكمت الهويات الأكثر حميمية والأقل أدلجة. لماذا؟

الاعتراف بالهويات المناطقية يستتبع المطالبة بتحسين الظروف المعيشية ومحاربة فساد رجالات السلطة والأمن في هذه المناطق. كما يؤدي إلى دراسات ومشاريع تتعلق بالمناطق المعنيّة ومحاولة السكان التعاون مع، أو انتقاد، السلطات المحلية، وصولاً إلى حياة كريمة لأبناء هذه المناطق. الاعتراف بالهويات المناطقية والفخر بها، بهذا المعنى، هو حُكماً ضد الاستبداد، وليس ضد العروبة.

في بداية الثورة، اتّهم أنصار النظام أبناء حوران بأن لهم طبيعة عشائرية خاصة (حرفياً!). دفاعاً عن هؤلاء، أصرّ البعض أنّه لا يوجد خلفيّة عشائرية في احتجاجات السوريين. السؤال هو لماذا يتم الربط بين العشائرية من جهة، والتخلف والرجعية من جهة ثانية؟ ربّما كان لاحتجاجات السوريين خلفية عشائرية ودينية، وهذا ليس معيباً، طالما أن هذه الاحتجاجات تسعى لبناء دولة القانون القائمة على احترام الآخرين.

معظم أطفال درعا الذين تم تعذيبهم ينتمون لعشيرة أبازيد. أما الاحتجاجات فقد شملت كل عشائر حوران. أي أن العشائرية لا تعني التعصّب لعشيرة على حساب أخرى. إذا كان هذا هو بالضبط العنصر المعيب في العشائرية، فهو حتماً مبالغ فيه، ولم نره في الاحتجاجات. تكون العشائرية معيبة، كما المناطقية، إذا قامت على مبدأ استبعادي واستعلائي. أما إذا كانت مكمّلة ومرافقة للهوية الوطنية الجامعة، فهي ليست معيبة. يهتف أهالي حمص يومياً بأنهم يفدون حمص بأرواحهم، بل هم يفدون حمص بأرواحهم. لا يعني ذلك أبداً، أن الحماصنة ضد الهوية العربية أو الهوية السورية الجامعة. العكس بالضبط هو الواقع، الهوية الفرعية الحمصية، بتجسيدها للنضال ضد الاستبداد، هي نواة للهوية السورية الجامعة.

ما هو التبرير النظري لاستبعاد الهويات الفرعية المناطقية والطائفية؟ ما الذي يجعل انتماء الفرد إلى منطقة معيّنة (حوران أو حمص أو دير الزور) أو إلى طائفة معينة (علوي أو سني أو درزي) رجعيّاً ولا يمكن أن يعمل لصالح العروبة؟ ما هو الخطأ في كون الفرد حمصياً فخوراً وعربياً، أو مسيحياً فخوراً وعربياً؟ التبرير النظري هو فكرة الهوية الاستبعادية. الهوية العربية، في فكر البعض، هي هوية خالدة أزلية تقسم السوريين بشكل كامل إلى عرب وغير-عرب. وهذه الهوية، كما النظام، لا تقبل بالمشاركة في أية هوية أخرى. النظام أفسد مفهوم الهوية العربية بشدة، ولكن المفهوم نفسه، كما تمّ طرحه في بدايات القرن الماضي، مع مفاهيم الإسلام السياسي واليسار بحاجة إلى مراجعة وتصويب.

ما أثبتته الثورة السورية هو أن الهويات المحلية المناطقية لا تتعارض مع الهوية العربية من ناحية، ولا تتعارض مع مفهوم الهوية السورية الجامعة من ناحية أخرى. من هنا، يجب مراجعة المفاهيم الموجودة حالياً حول الهويات. ليست الهوية مفهوم ماورائي بدون ملموس عيني.

الكائن البشري، يعيش ويتنفس ويأكل ويمارس نشاطاته اليومية في بيئة محددة زمانياً ومكانياً. هذه البيئة لها احتياجاتها ومشاكلها وانعكاساتها. الانتماء المناطقي له الأولوية دائماً. الإيديولوجيا، أو الفكر بشكل عام، الذي يحاول أن يشرح ويفسر الظاهر، يجب أن ينطلق من الواقع المُعاش، وأن يجاريه. لذلك، الهوية السورية الجامعة لكافة أبناء الشعب السوري، على اختلاف انتماءاتهم المناطقية والطائفية والطبقية، يجب أن تكون مرافقة ومكمّلة وداعمة للانتماء المناطقي. أما الهويات الطائفية والإثنية المتنوعة فقد تكون مختلفة في بعض النقاط عن الانتماء المناطقي. ولكن الظلم الذي تعرّض له الإسلاميون والأكراد، ينبع من ذات الخطأ: الهوية العربية تم تقديمها كهوية استبعادية بالمطلق. ما ينطبق على كافة هذه الهويات هو الفكرة نفسها: طالما أن هذه الهويات ليست استبعادية، تنفي الآخر وتحاربه بالمطلق، فهي هويات مشروعة تحت مظلة الهوية السورية الجامعة. في سوريا، أن الهوية العربية هي الهوية الاستبعادية التي يحكم باسمها النظام. كل الهويات الأخرى مقموعة ومستبعدة.

الثورة السورية هي ثورة البشر الذين يعيشون على الأرض. من هنا، كان للوجود على الأرض في المناطق المختلفة من بقاع سوريا، وللعمل الميداني، الدور الرئيسي في الثورة على الاستبداد. الهويات الفوقية، والتنظير من أعلى، يلعب دورا ثانوياً في الثورة. هذا أمر صحي وسليم. الثورة تعيد ترتيب الأولويات. البشر أولا، النظريات والإيديولوجيا ثانيا.

الثورة السورية، من منظور فلسفي، تدعونا إلى أن نعيد النظر في المفاهيم الموروثة. استخدم النظام مفهوم الهوية العربية لتبرير القمع والاستبداد. الثورة، في أحد وجوهها، هي ثورة على هذا الاستخدام للعروبة. إعادة الاعتبار لكل من تأذى من هذا الاستخدام، وفتح حوارات جدية حول الهوية السورية ومستقبلها، يعني أن الثورة تسير في الطريق الصحيح. يجب أن نمدّ اليد ونتعاون مع الأكراد والإسلاميين واليسار واليمين. لكن أيضاً، الانتماء المناطقي والطائفي بحاجة إلى إعادة نظر. الدكتاتورية أفقرت سورية من كل انتماء، الثورة أعادت لسورية كل غناها وتنوعها.

عن موقع صفحات سوريا

في انتظار المخلّص
مبادرة عنان تغرق بين جثث السوريين

■ ياسر مرزوق

الغد، ذلك الباب المرصود، الحبيس بين شفتي عرّافة، ما كنت لأحاول اقتحام سرة لولا أني ككل الناس منذ وجد الناس مولعٌ بالغيب أتبعه وأعلم أني لا أدركه وأحاول اكتناهه واستباقه وأنا موقنٌ أني سأنتظره ليأتي على ميعاد وقدر لا يتقدم عنه ولا يتأخر.....

والتطلع إلى الغد ظاهرة تنتشر أيام الأزمات، أزمات الروح وأزمات المادة على السواء، ومن مثل هذه الأزمات خرجت مثلا وثبتت في الأذهان منذ عهد مصر وبابل إلى اليوم أسطورة " المهدي " المنتظر الذي سيرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً..... عيون السوريين اليوم تائهة، تنتظر المهدي ليحمل معه ترياق الحل، والنظام مازال يمارس عقيدة النكران، والمعارضة تحتكم إلى قانون القبيلة الذي يقول " عدو عدوي صديقي " وهذا القانون في علم السياسة يؤدي إلى عمىً يستدعي الشفقة تجاه تعقيد العوامل التي تصنع وضعاً سياسياً معيناً، والخاسر الأكبر " سوريا " التي تنزف دماً وجرحها يشهق بالصمت أو العويل، صمت الفم الفاغر أو عويل الصمت، لا فرق..... منذ أشهر كان المهدي المنتظر عربياً، لكن كيف لأمةٍ سقطت رهينة بكل ما فيها أن تخرج مخلصاً، وهي الحبيسة المصلوبة المحتكمة دوماً لبيلاطس وسيده في روما...

واليوم قد يكون المهدي أممياً، لكن كيف لأممٍ لم تنصر الحق يوماً أن تخرج مخلصاً؟ هذه الأمم يحكمها سيد روما وتأتمر بأمره، عيون السوريين التائهة، لابد أن تشخص اتجاه الداخل، فهناك الترياق، أما العرب وغيرهم فلا مصلحة لأحدٍ منهم بأن تلتأم الجراح في سوريا، علينا أن نعي بأن لا مصلحة لأحد بسقوط النظام في سوريا، ولا مصلحة لأحدٍ ببقائه مصلحة الجميع تنصب على سقوط سوريا سقوط الدولة وسقوط المجتمع....

إن الثورة السورية- الأسطورة تواجه نظاماً إقليمياً كرسته دول كثيرة وعلى رأسها إسرائيل والغرب والاتحاد السوفييتي السابق، الذي حلت روسيا الآن محله، والتي تغيرت سياساتها عالمياً إلا في سورية كآخر موقع لها في الشرق الأوسط. استطاعت هذه الثورة رغم وقوف كل هذه الأطراف ضد التغيير عملياً في سورية أن تغير الواقع الإقليمي الراهن، وما المبادرة العربية سابقاً، ومبادرة عنان اليوم إلا للمحافظة على هذا التوازن الإقليمي الهش، هذا وقد تبنى مجلس الأمن الدولي، بياناً رئاسياً يدعم خطة مبعوث الأمم المتحدة إلى سوريا كوفي عنان المؤلفة من 6 نقاط، ويوجه رسالة "قوية وموحدة" إلى الحكومة السورية "وكل اللاعبين الآخرين" حتى تستجيب بسرعة للخطة الرامية إلى حل الأزمة المستمرة في سورية، حيث لقي البيان ترحيباً دولياً. وكان أحمد فوزي المتحدث باسم مبعوث الأمم المتحدة والجامعة العربية إلى سوريا كوفي عنان، أعلن أن الحكومة السورية وافقت على خطة كوفي عنان.

بنود المبادرة

نشرت وسائل الإعلام الغربية اليوم الأربعاء خطة التسوية السلمية للأزمة السورية، والتي وضعها المبعوث الخاص للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية كوفي عنان. وتتألف الخطة التي اقترحها عنان من ستة بنود، وتتضمن خطة عنان ما يلي:

- وضع حلول سياسية داخلية تأخذ بعين الاعتبار تطلعات ومخاوف الشعب السوري.

- وقف جميع أطراف النزاع لأعمال العنف المسلحة بكل أشكالها تحت مراقبة الأمم المتحدة، لحماية المواطنين.

- يجب على جميع أطراف النزاع أن تؤمن منافذ لإيصال المساعدات الإنسانية إلى جميع المناطق المتضررة من الصدامات المسلحة في البلد والامتثال إلى الهدنة الإنسانية لمدة ساعتين يومياً.

- يجب على السلطات السورية أن تطلق سراح جميع المعتقلين الذين شاركوا في الحملات الاحتجاجية فوراً.

- يجب على السلطات السورية أن تؤمن حركة حرة للصحفيين في كافة أنحاء البلد.

- يجب على السلطات السورية أن تحترم حرية التجمعات والحق في إجراء المظاهرات السلمية.

وعنان الذي يريد تخصيص ميزانية لعام كامل لمبادرته الرقابية هذه!! مجرد موظف لا أكثر ولا أقل وليس مقرراً، إلا أنه بحكم وظيفته هذه يمكن له أن يساهم في مزيد من قتل شعبنا واستنزاف موارده، وهو المبتدع لفكرة "النفط مقابل الغذاء" في العراق التي أودت بحياة الآلاف جوعاً.

روسيا

عنان عقد في موسكو محادثات استماع إلى مطالب روسيا، بأكثر مما يمكن وصفها بنقاش لوجهات نظر الطرفين قال لافروف لعنان: "نحن قدمنا ما علينا، جعلنا النظام السوري يقبل خطة النقاط الست. وشرط بقاء دعمنا لمساعيكم وبالتالي نجاحكم، مرهون بعدم تغليف مسعاك بشعار تنحي الأسد". هز عنان برأسه موافقاً، أو صاغراً، والكلام للمصدر عينه أيضاً.

الصين

ترك عنان روسيا، وحزم حقائبه إلى الصين، وكان من المفترض أن يقابل هناك وزير خارجيتها، بحسب تحديدات البروتوكول الدبلوماسي التي تناسب منصبه كمبعوث أممي وعربي، لكن منذ اللحظة الأولى لزيارته فوجئ بأن الصين استقبلته برسالة سياسية قوية، تمثلت بأن محادثه في الجلسة الرسمية لم يكن وزير الخارجية، الذي اعتذر عن عدم الحضور لاضطراره إلى مرافقة الرئيس الصيني، "هو جينتاو" في جولة آسيوية تشمل كوريا والهند وكمبوديا، وبدلاً منه جلس في مواجهة عنان، رئيس مجلس الدولة "ون جياباو". وغياب وزير الخارجية الصيني ترك رسالة سياسية قوية لعنان تفيد بأن الملف السوري يعالج في الصين على أرفع مستويات اتخاذ القرار، وتحديداً على مستوى الرجل الثاني في الدولة والحزب، لا على مستوى وزارة الخارجية. وتقول الرسالة أيضاً، إن الصراع في سورية ليس مجرد بؤرة توتر أخرى في العالم، بل إنه صراع يتعلق بالأمن القومي الصيني.

والتفسير الآنف لمعنى هذه الرسالة الصينية، نقلته شخصية سياسية صينية، شاركت في لقاءات عنان، لدبلوماسي عربي استمع منه أيضاً إلى وقائع أخرى عما قاله الصينيون بلسان الرجل الثاني في بكين، للمبعوث الأممي - العربي. ويقول: "عُرض الموقف الصيني على عنان بخصوص الأزمة السورية من خلال التدرج في استقراء الأحداث الدولية ومن ثم العربية الجارية في هذه المرحلة، تحت عنوان الربيع العربي، وموقع سورية فيها، توصلا إلى تقديم رؤية الصين لحلول لا تقدم، فقط، من وجهة نظرها، مخرجاً لاستعصاء الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط، بل صيغة أيضاً لمبدأ تعزيز الاستقرار الهش أصلاً فيه، وأيضاً، وهذا بيت القصيد، لقضية إصلاح العلاقات الدولية المتداعية".

الولايات المتحدة الأمريكية

الإدارة الأمريكية ومعها دول الاتحاد الأوروبي مجتمعة حكمت على مبادرة عنان بالفشل منذ الصباح الباكر، وقالت إن نظام دمشق لم يحترم تعهداته، أي الانسحاب من المدن ووقف أعمال القتل، وطالبت مجلس الأمن الدولي بتقييم الوضع على هذا الأساس والتدخل لوضع حد لأعمال العنف لا أحد يعرف ما مغزى هذه التصريحات الأمريكية، فكيف سيتدخل مجلس الأمن ويتخذ إجراءات عقابية ضد النظام السوري في ظل وجود 'الفيتو' الروسي الصيني المزدوج المشهر في وجه أي عقوبات اقتصادية أو تدخل عسكري إقليمي أو دولي في هذه الأزمة.

تركيا

رجب طيب أردوغان رئيس وزراء تركيا واللاعب الإقليمي الأبرز في الملف السوري طار إلى بكين، وحط الرحال بعدها في العاصمة السعودية الرياض، وفي العاصمة الصينية وقع عقوداً تجارية ضخمة تقدر بمليارات الدولارات، أما محادثاته مع العاهل السعودي فقد تركزت حول الأوضاع في سورية دون تقديم أي معلومات إضافية.

السعودية

المملكة العربية السعودية هدأت قليلاً تجاه الأزمة السورية أو في العلن على الأقل، وتراجعت بشكل ملحوظ عن حماسها الذي عبر عنه بوضوح الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية الذي انسحب على غير العادة من اجتماع وزراء الخارجية العرب في القاهرة، وأكد أن بلاده ستسلح المعارضة السورية للدفاع عن الأبرياء الذين يقتلهم النظام، وأيدتها دولة قطر دون تحفظ. التراجع السعودي ربما يكون راجعاً إلى حسابات دقيقة في ظل الظرف الحرج الذي تمر به المنطقة فمن يطالب بتسليح معارضة الآخرين يعطي شرعية لمن يتربصون لتسليح معارضته وإذا لم تكن هناك معارضة في الوقت الحالي فقد تجد من ينشئها في المستقبل.

وليس لنا إغفال الصراع السعودي القطري الخفي، على تقاسم النفوذ في العالم العربي، ومعركة الرئاسة المصرية دليل واضح على هذا الصراع الخفي، الدائر بين الإخوان المدعومين من قطر، والتيار السلفي المدعوم من السعودية.

النظام السوري

من وجهة نظر النظام استقبال بعثة عنان هو خطأ من الأساس، ولكن سورية قبلت به بسبب الضغط الروسي. فاعتماد سورية الآن هو بالكامل على روسيا والصين. لو تخلت هاتان الدولتان عن سورية كما تراهن أميركا فهذا يعني نهاية سورية، ولهذا السبب قررت سورية عدم إغضاب روسيا والصين مهما كان الثمن. سورية وضعت مصيرها في يدي روسيا والصين وهي تخلت عن أمنها وسيادتها وأسرارها العسكرية إرضاء لروسيا والصين. طبعا هذا الرهان هو أفضل الرهانات المتاحة، الموقف الروسي والصيني أثبت حتى الآن أنه موقف قوي وبالتالي الرهان عليه هو أمر منطقي وصحيح في رأيي، روسيا تراهن على أن نتيجة مهمة المراقبين الدوليين سوف تكون مطابقة لنتيجة مهمة المراقبين العرب، أما أميركا فهي تراهن على أن نتيجة مهمة المراقبين الدوليين في سورية سوف تكون مطابقة لنتيجة مهمة المراقبين الدوليين في العراق سابقا، أي فرض الحصار ثم الحرب والدمار، فما هو الرهان الذي سيربح؟

المعارضة السورية

بالرغم من الضجيج الإعلامي الذي امتهنه المعارضون في الفترة الأخيرة، إلا أن قبول النظام لمبادة عنان يجوز اعتباره نصراً للمعارضة، أو تمهيدا لتدخل دولي يعتبره بعض المعارضين حلاً، وبعضهم يملك القناعة بحل دبلوماسي للأزمة، فقد أكد عضوً "المنبر الديمقراطي السوري" المعارض، ميشيل كيلو أن مبادرة المبعوث الأممي العربي إلى سورية كوفي عنان هي مبادرة المعارضة السورية، مشددا على أن المعارضة تريد تطبيق هذه المبادرة، فيما أشار إلى أن المنبر سيحاول وضع حد للانقسامات في المعارضة، ليس عن طريق إجراءات سياسية فقط، بل عن طريق إيجاد أرضية مشتركة لها. وقال كيلو في حديث إلى قناة "روسيا اليوم"، الخميس إنه "ليس صحيحا أن المعارضة السورية لم توافق على مبادرة عنان بشأن سورية، فمبادرة عنان قائمة بأسرها على المبادرة التي قدمتها المعارضة السورية في أيار الماضي للنظام". وأشار كيلو إلى أن "هذه المبادرة تشمل وجود بيئة حوار تقوم على وقف إطلاق النار وسحب الجيش من المدن وإطلاق سراح المعتقلين وحق التظاهر السلمي وتحديد قناة من قبل السلطات وقناة من قبل المعارضة للتفاوض الكامل على المرحلة الانتقالية نحو الديمقراطية". كما أكد أن "قبول الرئيس السوري للمبادرة آت لأن الأسرة الدولية من بينها روسيا والصين قبلت بها، وليس من باب رغبته في إيجاد حل للأزمة".

وكانت معارضة الداخل رحبت بمبادرة عنان، حيث قالت "هيئة التنسيق الوطنية" المعارضة إن مبادرة عنان، هي أهم فرصة فيما يتعلق بحل الأزمة السورية، فيما قال "تيار بناء الدولة السورية" المعارض إن مهمة عنان "فرصة جدية" يمكنها إن توافرت لها الظروف المناسبة أن تساهم بإيقاف الصراع الدموي في البلاد.

فيما انتقد "المجلس الوطني السوري" المعارض البيان الرئاسي الذي أصدره مجلس الأمن الدولي بخصوص الأزمة السورية الداعم لخطة عنان معتبرا أنه لا يستجيب لحاجات الشعب السوري.

كوفي عنان

لا بد أيضاً من الإضاءة على شخص " كوفي عنان " وتصوره لحقوق الإنسان ودور الأمم المتحدة في صيانتها فقد أعلن عنان خلال كلمته في 20 كانون الأول 1999 في الجمعية العامة عن عقيدته ونظرته، مشيراً إلى تجاربه في رواندا والبوسنة حيث قال: لم تنجح الدول في حماية الناس، استنتج بشكل متعاقب أن سيادة الدول والدستور الأساسي لميثاق الأمم المتحدة تشكل مانعاً أمام حماية حقوق الإنسان، عقيدة عنان تمهد لتدخل الدول العظمى وقد تجلى هذا بوضوح في العمليات التي جرت في ليبيا عام 2011، كما تفتح طريقاً آخر للتدخل في الشؤون السورية.

كما ابتدع عنان برنامج يدعى "الميثاق العالمي" وهو عبارة عن حشد المجتمع المدني للسعي نحو تحقيق عالم أفضل، وفق هذا البرنامج، يجتمع أصحاب رأس المال والاتحادات غير الحكومية، مع بعضها لتبحث قضايا حقوق الإنسان ومعايير حقوق العمل والمحيط الحيوي والبيئي، هذا البرنامج هو محاولة لإضعاف قدرة الدول الوطنية وزيادة قدرة الشركات المتعددة الجنسية والمنظمات التي هي في الظاهر (غير تابعة للدول) لكنها تحظى بالدعم المادي من قبل القوى العظمى.

- بزيادة نفوذ لوبيات الضغط بصفتها شريكة للأمم المتحدة، دُفن روح ميثاق "سان فرانسيسكو". هدف هذه المنظمة للحؤول دون نشوب حروب، ليس فقط من خلال الاعتراف الرسمي بالحقوق المتساوية للأمم كبيرها وصغيرها، بل عن طريق حماية التوجهات المتطابقة بين المصالح الخاصة.

"الميثاق العالمي" هو انحراف عن المنطق العالمي المقبول من قبل الجميع والذي ينص على أن القوانين الدولية الموضوعة تسعى نحو تحقيق المصلحة العامة لجميع الشعوب. انحرف هذا الميثاق باتجاه المنطق الانكلوسكسوني، حيث أن المصلحة العامة فيه ليست سوى وهم وخيال، والإدارة الجيدة فيه عبارة عن اجتماع أكبر عدد ممكن من تلاقي المصالح الخاصة.

خلال تسلم كوفي عنان لرئاسة الأمم المتحدة لدورتين متتاليتين أصبح العالم يخضع لقطب واحد ولقوانين عولمة الهيمنة الأمريكية مقابل أن تتخلى الدول عن سيادتها وقوتها الوطنية. إن هذا البرنامج يشبه البرامج الخيرّية الأمريكية ظاهرها خير ومساعدة وباطنها مصلحة ومنفعة، فالقيمّون على هذا البرنامج يحاولون فرض حالة من الظلم والاستبداد على الشعوب. إستراتيجية برنامج "الميثاق العالمي" مثل إستراتيجية المؤسسة الوطنية لدعم الديمقراطية التي تسعى، على عكس اسمها، لتحقيق أهداف وكالة الاستخبارات الأمريكية، وذلك بالتلاعب في عملية وآليات تطبيق الديمقراطية، المستفيدون من العولمة يسعون للمشاركة في الميثاق العالمي لإضعاف قوة الحكومات والشعوب. ليس الهدف الرئيسي للأمم المتحدة اليوم تحقيق السلام، لأن عالم القطب الواحد يخضع لسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية، لهذا تستطيع المنظمة أن تستوعب كل أنواع الاحتجاجات وتبرر وجود الفوضى في العالم وزيادة الاعتداءات فقط لنشر الهيمنة الأمريكية.

ولعل النقطة الأكثر ظلاماً في تاريخ الرجل هي برنامج النفط مقابل الغذاء: والذي تم تطبيقه في العراق باقتراح منه، والهدف من هذا البرنامج ضمان وصول عائدات النفط لسد احتياجات الشعب العراقي وليس لمغامرات صدام حسين العسكرية. وبوجود العقوبات الدولية والرقابة المباشرة لكوفي عنان تحول هذا البرنامج إلى أداة بيد أمريكا وبريطانيا ونهبوا عائدات النفط العراقي حتى الهجوم الأمريكي على العراق. عانى الشعب العراقي لسنوات طويلة من سوء التغذية ومن نقص الدواء، ووصف عدة أشخاص المسؤولين عن هذا البرنامج بأنهم جناة حرب وقاموا بتقديم استقالتهم، كان من بين هؤلاء الأشخاص «هانس فون أسباناك» معاون الأمين العام ودينس هاليدي ووصفوا هذا البرنامج بأنه أداة للإبادة الجماعية بحق مليون ونصف عراقي من بينهم 500.000 طفل.

كوفي عنان، يعرف جيداً ما يفعل، مثلما يدرك مسبقاً أن مهمته لن يكتب لها النجاح، أو بالأحرى لا يجب أن تنجح فطرفا الأزمة، النظام والمعارضة، يريدان الفشل لا النجاح، للاستعداد للمرحلة التالية. فالنظام لا يريد الحوار مع معارضة لا يعترف بها فقط بل يريد تصفيتها، والمعارضة لا تريد الحوار مع نظام قتل أكثر من عشرة آلاف من السوريين ومستعد لقتل المزيد. النظام يريد كسب الوقت لإنهاء المعارضة بالقوة المفرطة، و المعارضة تريد كسب الوقت حتى تحسم الولايات المتحدة أمرها اتجاه الملف الإيراني، الذي يشمل الملف السوري كورقةٍ يلعب بها الطرفان.

بين نظام يتصرف بعقليةٍ انتحارية، ومعارضةٍ ارتهنت للعبة الأمم، ومعارضةٍ لا تملك إلا تاريخها المشرف، وشعبٍ يسطر الملاحم، ويصعد الجبل يومياً في مشهدٍ "سيزيفي"، والحل حمل عقله ومشى والسوريون وقفوا يتأملون الهارب ولم يبقى لنا إلا انتظار مكر التاريخ، أو انتظار المهدي ليخرجنا من هاويةٍ لا قرار لها.

أيديولوجيا الثورة

■ خالد كنفاني

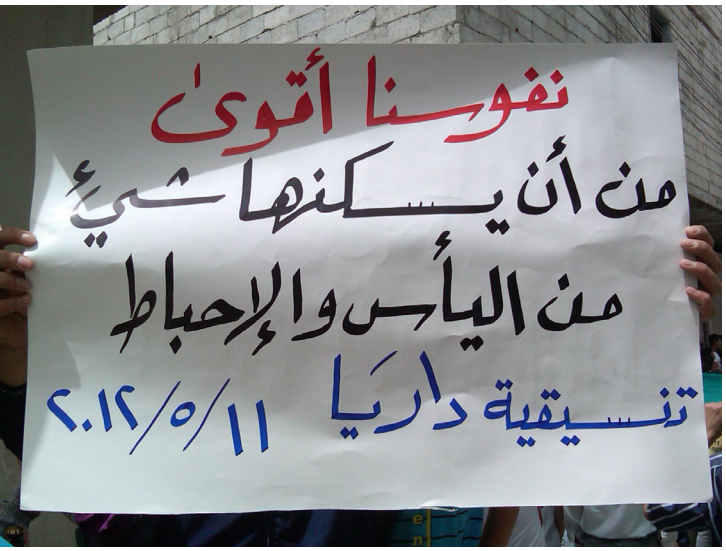

من أكثر الأمور صعوبة على أية حركة ثورية هو الكم الهائل من التنظيرات والتحليلات التي تنهال من كل حدب وصوب لتعطي الثائرين نصائح ومواعظ عن أمور لا يعلمه مانحوها بالأساس.

ونخشى أن يكون الكلام اليوم عن أيديولوجية الثورة مفهوماً ضمن هذا الباب، غير أن الواقع أنني أحاول تحليل الأمور من زاوية المراقب لا من زاوية التنظير، فقناعتي كانت على الدوام أن "أهل مكة أدرى بشعابها" وأن من على الأرض أدرى بتضاريسها من كل الأقمار الصناعية.

لا تخلو ثورة أو حراك شعبي من قوة كامنة تحركها، والكلام هنا ليس عن مؤامرات ولا عن "مندسين" يدفعون للناس مقابل خروجهم في مظاهرات، فهذه أحد الحجج التي تساق للحط من شأن الحركة الجماهيرية العارمة التي شهدها ويشهدها العالم العربي بأسره. ولكننا نتحدث هنا عن القوى والطاقات الخفية التي تبرز إلى السطح مع تطور الحركة الثورية وطول أمدها، وهكذا يجد الناس فرصة لإطلاق مكنونات عقولهم وقلوبهم في شتى المجالات بعد سنين طويلة من الكبت والتوجيه الإجباري.

عندما انفجر الحراك الشعبي في بداياته الأولى من درعا، لم نكن بالكاد نرى لافتة واحدة، كان الناس لا يزالون على تخوفهم من مجرد الصياح، كان الخوف الكامن في أعماقهم يحاول جذبهم للأسفل. إلا أن الانفجار في أعماقهم كان أقوى من أي خوف، وانطلقت حناجرهم أول مرة بالهتاف ضد الفساد ورموزه في لحظة تاريخية بدت كالحلم وباقي السوريين يشاهدونها وكأنهم يرون كائنات فضائية لا إخوان لهم في الوطن.

كانت السلطة على الموعد تماماً. فبدلاً من قيام النظام بتهدئة النفوس عبر التوجه مباشرة إلى أهالي الأطفال الذين عانوا من الإجرام والتعذيب وعبر القيام -ولو شكلياً- بمحاسبة المتورطين وعلى رأسهم قريب الرئيس، نقول بدلاً من ذلك تمت إقالة المحافظ والذي لم يكن بالأساس متورطاً مباشرة في مسألة الأطفال (وهذا ليس دفاعاً عنه) وتم استدعاء كل رموز الحرس القديم والمعروفون ببطشهم وأحادية تفكيرهم فيما يتعلق بالتعامل مع الناس. نسي أو تناسى النظام اللحظة التاريخية الفارقة التي كانت هذه الأحداث تجري خلالها ألا وهي الربيع العربي، ونسي أو تناسى أيضاً أن سوريا 2011 ليست سوريا 1982، وهو ما أظهر مقدار الانفصام الذي كان -ولا يزال- يعيشه النظام بين واقع الأمور وبين نظرته للتاريخ والمستقبل.

لا نستطيع بأي حال من الأحوال إخفاء الصبغة الطائفية والعشائرية للمجتمع السوري، وأنا على اعتقاد بأن كل ما كان يتم الترويج له عن الوحدة الوطنية و"انتفاء" الطائفية داخل المجتمع السوري هو من قبيل الدعاية الثورية وخاصة في أروقة المؤتمرات في الغرب، ولا أريد أن يتم فهم هذا الكلام على أنه "طعن في الثورة" أو "انقلاب عليها" أو غير ذلك من تهم التخوين التي أصبحت جاهزة لدى الثائرين وكأنما ورثناها كابراً عن كابر، كنت -ولا أزال- أقول أن حل مشكلات أي مجتمع يبدأ بتحليلها لا بالتعامي عليها، وما فعلته المعارضة -بقصد أو بغير قصد- لم يخدم في المحصلة مسيرة الثورة بشكل كامل.

قلنا في مقال سابق أن اعتبار الطائفية أحد مكونات المجتمع السوري يجب أن يكون عنصر غنى وقوة لهذا المجتمع لا العكس. وهذا الأمر لم يتم الحديث عنه في أية حقبة زمنية سابقة، وكان السبب الرئيس في ذلك هو إما سيطرة خارجية استطاعت تغليب فئة على الباقين (الاستبداد العثماني نموذجاً) أو استعمار استغل مسألة الطائفية على مبدأ فرق تسد (الانتداب الفرنسي نموذجاً) أو أنظمة لاحقة لم تتعامل مع مسألة التنوع الديمغرافي والمناطقي بالجدية المطلوبة. لم يكن مفهوماً مثلاً السبب وراء إهمال المسألة الكردية طوال السنين السبعين الماضية (أي ما بعد الاستقلال) رغم أن المسألة كانت حاضرة بقوة منذ ذلك الحين في أغلب النقاشات الوطنية أو حتى أزمات المنطقة.

من هذا المنطلق ونظراً للكبت والقهر المختزنين في داخل السوريين، وجدوا أنفسهم وقد انفضوا عنهم غبار الخوف والمذلة يريدون التنفيس عما في أعماقهم بكل ما لم يستطيعوا قوله في الماضي، وهكذا انفجرت الأهداف والشعارات من كل حدب وصوب وفي كل الاتجاهات، وكان أن بدأ المبدعون والفاشلون على حد سواء باختراع لافتات وشعارات كانت في معظمها مبتكرة ومميزة وعاب بعضها القصور أو عدم الإدراك (وبالأخص في حمل أعلام تركيا وغيرها في البدايات). وكانت مسألة الشعارات مسألة هامة تستحق الدراسة، فقد كانت تعبيراً مباشراً عما يجول في صدور الناس وقد ساهمت بالإضافة إلى "البخانات الجدارية" وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها في خلق واقع جديد لدى السوريين، كان جزء كبير منه واقعاً افتراضياً في البدايات وانقلب اليوم ليصبح واقعاً ملموساً.

حاولت المعارضة وعلى الأخص الخارجية منها طمس أو التعتيم على جزء لا بأس به من الشعارات التي كانت ترفع هنا وهناك، وخاصة فيما يتعلق بالمسألة الطائفية، وهكذا سقطت المعارضة في نفس أساليب النظام التعتيمية والمكذبة لكل شيء، وتبادل الطرفان الاتهامات ولعبة إثبات كذب الصور أو الفيديوهات بشكل غير مسبوق، وقد بدا لأي مراقب خارجي أن الطرفين يلعبان ذات اللعبة، إما إنكار وإلقاء التهمة على الآخر، أو إثبات لتكذيب الآخر. وهنا ظهر الضعف الواضح في الممارسة السياسية وحتى الإيديولوجية للثورة منذ بدايتها من أجل إضفاء طابع رومانسي ومثالي على الثورة والثائرين بكل أطيافهم.

ازداد وضوح الإيديولوجيا مع ظهور كتائب العسكريين المنشقين والذين اختاروا تسمية "الجيش الحر". والمتابع لمسيرة هذه الكتائب أو الفصائل منذ بدايات تشكلها في الصيف الماضي وحتى اليوم يلحظ أن تسمياتها وكذلك لغة بياناتها تصب -تقريباً- في اتجاه واحد، وهنا حارت المعارضة مرة أخرى بين ضابط يخرج إلى العلن معلناً انشقاقه وأن الهدف ليس طائفياً وبين التسميات ذات المدلول الديني الواضح وابتداء الأغلبية الساحقة من البيانات بآيات قرآنية تتحدث عن "الجهاد" ضد الظالمين والكفرة. وقد أكدنا في أكثر من مناسبة أن ذلك لن يفيد في جذب الأغلبية الصامتة في الشارع السوري ذي العلاقات الكثيفة والمتداخلة والمتنوعة والتي يفترض أن يحرص الجميع على الحفاظ على تنوعها. ونحن هنا لا ننكر على أي إنسان معتقده أو إيمانه، فهدفنا الأول والأخير كان ولا يزال هو المجتمع المدني المنفتح والمتنوع، إلا أن تصدر الشعارات الدينية للكثير من التظاهرات ناهيك عن وجود قنوات تلفزيونية متخصصة في هذا الأمر تعمل من بعد في إضفاء الصبغة الدينية على الحراك الوطني، كل ذلك يزيد من تعقيد الأمور ويزيد من حيرة الحائرين، ولا نستطيع إهمال بعض الأمثلة الجريئة والقوية والتي أثبتت نفسها في الثورة برغم أطيافها المختلفة ولكن الملاحظ أن كل ذلك بقي ضمن النخبة المثقفة مع القليل جداً من الأمثلة الشعبية، غير أن الطابع الأعم كان إعادة التقوقع على الطائفة أو العشيرة لدى الغالبية الساحقة من أطياف الشعب. ونحن هنا لا نعفي النظام أبداً من مسؤوليته عن كل ذلك، إلا أن الظروف الدولية والتي اختلفت بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) 2001 خلقت حالة مما أطلق عليه "الصحوة الإسلامية" وذلك مع تصاعد الحركات الدينية في العالم كله وليس الإسلامي فقط. وقد بدا أن بعض الأنظمة العربية -ومنها النظام السوري- كانت سعيدة وراضية بهذا التحالف بين رجال الدين والسلطة حين تم توجيه مئات آلاف الناس نحو التدين الشعبي من جهة عدا عن فتح بعض جبهات القتال العفوي هنا وهناك (العراق وأفغانستان نموذجاً) من جهة أخرى.

قد يقول كثيرون أن أوان هذا الكلام يجب أن يأتي لاحقاً وأن بعضاً من هذه الأفكار سيوهن الثورة وغير ذلك من التهم التي باتت جاهزة عند غالبية الثائرين. ولكنني لا زلت مصراً على أن التحليل الواقعي وتعرية الظواهر الاجتماعية والثقافية من قشور علقت بها لمئات السنين هو المدخل الصحيح لبناء مجتمع سوي صحي يفهم معنى الاختلاف ويمارسه في حياته اليومية بفهم ووعي حضاريين. أما القفز فوق الحقائق للاعتقاد بأن ذلك سيخدم الثورة فهو من عمل من يعتبرون أنفسهم "النخبة" التي باتت تتصرف كالنعامة التي لا تريد أن ترى ما حولها مع الإيمان بأن كل شيء في مكانه.

شهدت مسألة تسمية جمع الثورة العديد من السجالات والكثير من المهاترات والاتهامات على أمر لا أراه يشكل اليوم أي جوهر للثورة. فالعنف المنفجر اليوم في كل مكان من الأرض السورية بات يصمّ الآذان. ومع ذلك فقد بدا واضحاً التوجه العام لأسماء تلك الجمع إلى أن اعتبر أحد الناشطين نفسه منتصراً بمجرد اختيار أحد الجمع "جمعة كل السوريين"، وكأن الصراع الافتراضي أصبح إحدى ملذات المعارضين وخاصة في الخارج ناهيك عن أنه أحد أدوات التخفي وراء الفشل السياسي والفكري العنيف الذي منيت به المعارضة على كل المستويات.

لا نفهم إنكار الكثير من المعارضين للطائفية بينما نرى تشكيلات وتجمعات تحت أسماء دينية أو طائفية بحتة. لفت نظري خبر قيام أيمن عبد النور بتأسيس منظمة أطلق عليها "سوريون مسيحيون من أجل الديمقراطية" وذلك لمساعدة المسيحيين الذين تركوا منازلهم في أنحاء سوريا، وهل هم هؤلاء فقط من ترك منازلهم؟ وكيف يمكن أن يصدر شيء كهذا عن ناشط يملك قناة تلفزيونية وموقعاً الكترونياً يواصلان اتهام النظام بإذكاء نار الفتنة والتفريق بين السوريين. كما لا ننسى الجمعيات والمنظمات التي تم تأسيسها في بعض دول الخليج تحت مسميات حماية أهل السنة في سوريا وغير ذلك. كان الأجدى إطلاق حملات كهذه تستهدف كافة السوريين على اختلاف مشاربهم كون الجميع تضرروا وتأذوا من بطش النظام على كل المستويات، لا أن يتم استغلال ذلك لتمزيق الناس.

إن الأخطاء الفادحة التي يقع فيها المعارضون سوف تقود البلاد إلى الدمار المحتم، فلا هم استطاعوا اللحاق بالركب الجماهيري للثورة ولا هم قادرون على التفكير باستقلالية لكونهم ارتضوا منذ البداية القبول بأجندات مستضيفيهم. وهذا ليس اتهاما لهم ولكن "رحم الله امرأ عرف قدر نفسه" وقد ثبت فشلهم في السياسة فكان الأجدر بهم أن يحاولوا ولو مرة واحدة الاقتراب من المواطنين في مدنهم مثلما فعل مئات الصحفيون الغربيون بدل أن يواصلوا الصراخ والتشجيع من بعيد.

النظام زائل، وسوريا باقية، ولنا الخيار في تشكيلها كما نريد.

مفهوم التحكيم وطبيعته في القانون السوري

■ ياسر مرزوق

عُرف التحكيم من زمن طويل، وله أصل وأساس في أحكام الشريعة الإسلامية، بقوله تعالى في سورة النساء:

« وإن خفتم شقاق بينهما، فابعثوا حكماً من أهله، وحكماً من أهلها، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما ».

واستناداً إلى ذلك اعتبر التحكيم « قضاء » واشترط في المحكم نفس شرط القاضي، وإن كان لا يملك اختصاصاً مثله في مجالي القصاص والحدود وقد شاع التحكيم في عهد الإسلام، واستند إلى اتفاق الأطراف واختيارهم، فإذا صدر الحكم بينهم أصبح ملزماً لهم.

وقد سارت الدول على هذا المنوال، واعتبرت التحكيم قضاءً، والإحالة عليه تكون اختياراً باتفاق الأطراف.. وإذا كانت تلك الدول قد حصرت اعترافها في بداية عهد نشوء التحكيم " بقيد التحكيم أو ما يسمى شرط التحكيم " في العقد قبل نشوء النزاع، أو ورد في عقد أو اتفاق مستقل " صك التحكيم " بعد نشوء النزاع، واشترطت أن يكون الاتفاق بنوعيه مكتوباً سواء كان مدنياً أو تجارياً تحت طائلة عدم الاعتداد بوجوده واستثناء من هذه القاعدة اعترف قانون المرافعات الألماني " بالاتفاق التحكيمي الشفوي " إذا ورد بشأن علاقة تجارية بين تاجرين.

استناداً إلى ذلك ساهمت الدول بإيجاد مؤسسة التحكيم دون أن تتنازل عن سيادتها لأنها أخضعت التحكيم لموافقة المشرع وللضوابط التشريعية التي تصدرها بهذا الخصوص.

في ضوء ذلك يمكن القول إن مؤسسة التحكيم تستند بتحقيقها إلى أساسين هما إرادة الخصوم وموافقة المشرع على الإرادة والاتفاق الذي يقوم بينهم والحكم الذي يصدر بالنزاع، ويضمن تنفيذه وإذا كان التحكيم في الأصل اختيارياً، فإن المشرع قد يوجب في بعض الأحيان أن يكون اللجوء للتحكيم إلزامياً وهو ما يعرف بالتحكيم الإلزامي أو الإجباري.

تعريف نظام التحكيم:

لم تضع قوانين المرافعات، ولا قوانين التحكيم الصادرة، تعريفاً موحداً لنظام التحكيم، سوى اقتصار دورها على تقرير مشروعية وجود هذا النظام، وتحديد شروط الاتفاق وقواعد الإجراءات، وأشكال الأحكام، وطرق الطعن فيها. وإذا كان طريق اللجوء إلى القضاء العادي، مأمون الجانب بين أشخاص القانون العام والخاص بسبب ما تحيطه الدولة من ضمانات تكفل تحقيق العدالة التي تؤدي إليها، فإن ذلك لا يخلو من بعض السلبيات، كالبطء في إجراءات الدعوى وإطالة أمد التقاضي بسبب الشروط الشكلية والنصوص الجامدة في القوانين واجبة التطبيق، الأمر الذي يترك آثاراً سلبية بين الأشخاص، ويؤدي إلى قطع العلاقة التي كانت قائمة بين الأطراف. وإذا كان من المقبول تطبيق هذه الإجراءات على المعاملات المدنية، فإن تطبيقها على العلاقات التجارية، المحلية أو الدولية، يخلق تذمراً بين أطراف العلاقة الذين يتعاملون فيما بينهم على أساس الثقة المتبادلة، ويودون السرعة في تسوية خلافاتهم، وإزالة العوائق التي تعترض علاقاتهم، وخلق المناخ الأفضل أمام المتعاقدين لتنفيذ التزاماتهم العقدية، الداخلية والخارجية.

وتلافياً للصعوبات القضائية الناشئة، أجاز المشرع للمتعاقدين وبصورة استثنائية، أن يلجؤوا إلى نظام قضائي آخر موازٍ للنظام القضائي العادي، لفض خلافاتهم بشكل سريع واقتصادي وسري، هو نظام التحكيم الذي يختار الخصوم فيه شخصاً حيادياً نزيهاً يدعى " المحكم Arbitrator " يقوم بوظيفة قضائية مؤقتة، للحصول منه على حكم نهائي له حجيته وإلزاميته وقوته بين الأطراف طبقاً لأحكام القانون، ما لم يكن مفوضاً بالصلح أو أعفي بشكل صريح من إتباع أحكام القانون، سوى ما يتعلق منها بالقواعد الإلزامية واجبة التطبيق.

من هنا فإن التحكيم ليس بديلاً عن القضاء العادي ولكنه أسلوب موازٍ له نظراً لطبيعة المنازعات التجارية التي تتطلب السرعة والسرية، حيث نص قانون التحكيم الجديد على أن قرار التحكيم يصدر بعد مداولة سرية وبصورة مبرمة والجديد بهذا القانون أنه أعطى الأطراف الحق بالمراجعة إذا ما صدر القرار مخالفاً للأصول والقانون. وأجاز القانون الطعن عن طريق دعوى الإبطال حيث يتم النظر فيها بغرفة المذاكرة وعلى وجه السرعة. والمحكمة لا تعيد النظر في موضوع النزاع، لكنها تتأكد من بعض الشروط الشكلية التي تضمن صدور هذا الحكم موافقاً للقانون، فإن كانت هذه الشروط متوفرة ردت دعوى الإبطال وهذا يعني إكساء حكم المحكمين صيغة التنفيذ وبالتالي فان الطرف صاحب الحق لم يعد بحاجة إلى اللجوء إلى القضاء من أجل ذلك

صدر قانون التحكيم السوري الجديد رقم /4/ لعام 2008 بتاريخ 2008/3/25 ونشر في العدد /15/ من الجريدة الرسمية تاريخ 2008/4/2، بحيث أصبح نافذاً اعتباراً من 2008/5/1 حسب المادة /66/ منه التي نصت على العمل به اعتباراً من أول الشهر الذي يلي نشره في الجريدة الرسمية. وقد حدد فيه المشرع ما يجوز التحكيم به كالقانون السابق هي كافة المنازعات عدا ما لا يجوز الصلح فيه أو مخالفة النظام العام أو المتعلقة بالجنسية أو الأحوال الشخصية باستثناء الآثار المالية المترتبة على ذلك

وقد نصت المادة /64/ منه على إلغاء المواد /506/ إلى /534/ من قانون أصول المحاكمات الصادر بالمرسوم التشريعي رقم /84/ لعام 1953 وتعديلاته، بحيث أصبح القانون الجديد حاكماً لكافة مسائل التحكيم فيما خلا بعض الحالات الاستثنائية كمنازعات العقود الإدارية والتي نأمل أن يصار إلى تعديله بحيث يشمل كافة العقود الإدارية مما يحقق الغاية المثلى لإصداره.

كرّس المشرع في المواد /7/ وما يليها من قانون التحكيم حرية اتفاق الأطراف على حل نزاعاتهم عن طريق التحكيم سواء أكان هذا قبل نشوء النزاع "شرط تحكيم في عقد معين " أم كان بعد قيام النزاع ولو كان قد عرض على القضاء واوجد حكماً جديداً يتعلق بالإحالة الواردة في العقد والتي تحيل إلى وثيقة تتضمن شرط تحكيم ولكن يجب هنا أن تكون الإحالة واضحة في اعتبار شرط التحكيم جزءاً من العقد.

وقد حسم المشرع في المادة /8/ تحكيم الخلاف الذي كان ثائراً في إطار القانون السابق حول الكتابة وهل يعتبر شرط انعقاد أم إثبات فقط، فقد تطلبت المادة /8/ من القانون الجديد أن يكون الاتفاق مكتوباً وإلا كان التحكيم باطلاً، وبحيث لا يمكن الادعاء بوجود اتفاق تحكيم إلا إذا كان مكتوباً، ولكن المشرع تساهل في الكتابة المطلوبة مراعياً التطور التقني الهائل في وسائل الاتصالات، فاعتبر الاتفاق مكتوباً إذا ورد في عقد أو وثيقة رسمية أو عادية أو في محضر محرر لدى مرسله بوسائل الاتصال المكتوب "البريد الالكتروني، الفاكس، التلكس" إذا كانت تثبت تلاقي إرادة مرسليها على اختيار التحكيم وسيلة لفض النزاع. وكرر المشرع أحكام القانون السابق فيما يخص الشخص الذي يملك إبرام اتفاق تحكيم فنص على أنه الشخص الطبيعي أو الاعتباري الذي يملك التصرف في حقوقه وفق القانون الذي يحكم أهليته المادة 1/9.

ثم ألقى المشرع بموجب قانوني على أية محكمة رفعت أمامها دعوى في مسألة ابرم بشأنها اتفاق تحكيم، فأوجب عليها تقرير عدم قبول الدعوى إذا دفع المدعى عليه بذلك قبل إبدائه أي طلب أو دفاع في الدعوى، وبحيث حسم المشرع الأمر حول القرار الواجب إصداره من قبل المحكمة مستبعداً العرف القضائي السوري الذي كان يعتمد إصدار قرارات برد الدعوى شكلاً في الغالب وموضوعاً في أحيان أخرى. ولكن المشرع أعطى المحكمة في حال الدفع بوجود شرط تحكيم سلطة التحقق من أن الاتفاق صحيح وليس باطلاً أو لاغ أو عديم أو لا يمكن تنفيذه.

كما اعتمد المشرع السوري مبدأ استقلال شرط التحكيم المستقر في فقه وتطبيق التحكيم التجاري الدولي ونص عليه في المادة /11/ تحكيم بحيث اعتبر شرط التحكيم اتفاقاً مستقلاً عن شروط العقد الأخرى ولا يتأثر بها لجهة صحتها أو بطلانها أو فسخها طالما كان الشرط صحيحاً بذاته.

انعقاد الاختصاص لمحكمة الاستئناف بالنظر في الدعوى التحكيمية بعد أن كانت محكمة البداية المدنية هي المختصة أصلا للنظر في النزاع.

- حدد القانون الجديد بشكل صريح مدة /180/ يوماً يتوجب خلالها فصل الدعوى التحكيمية قابلة للتمديد /90/ يوماً أخرى، وفي حال لم يتم التوصل لاتفاق يمكن اللجوء إلى محكمة الاستئناف للتمديد لفترة /90/ يوم أخرى نهائية، فإذا أصدرت المحكمة قرارها بالرفض يمكن في هذه الحالة الاتفاق على إقامة دعوى تحكيمية جديدة.

- أتاح لهيئة التحكيم البت بأي موضوع يتعلق باختصاصها على أن يثار هذا الدفع قبل أي دفع آخر.

- أتاح القانون الجديد اتخاذ قرارات وقتية من خلال محكمة الأمور المستعجلة.

- إذا لم يتم الاتفاق بين أعضاء التحكيم يكتفى بقرار الرئيس بغض النظر عن الآخرين.

- الحكم الذي يصدر عن هيئة التحكيم يصدر مبرماً ولكنه قابل لإقامة دعوى البطلان ضمن حالاتها المحددة بالقانون.

- أتاح إقامة مراكز تحكيمية.

أخيراً لابد من الإشارة إلى أن اعتماد نظام التحكيم يعتبر عاملاً مساعداً للنظام القضائي من جهة، إذ يخفف الضغط على المحاكم كما يساعد المواطنين على اختصار الوقت والمال وتحصيل حقوقهم، بأسرع وقتٍ ممكن.

عن داريّا: ثوّرة وأكثر.. سلميّة وأكثر!

■ محمد دحنون

ليست كغيرها. للمدينة الصغيرة، القريبة من دمشق (8 كم جنوب غرب)، نكهة "ثوريّة" خاصّة، ربما اكتسبتها من، وربما تمّثلها، النظرة الوديعة و"النقيّة"، لذلك الشاب الذي قدّم الورد إلى من سيكون قاتله؛ غيّاث مطر: داريّا. داريّا: غيّاث مطر!

عددٌ من أصدقاء الشهيد الذي بات "روحا تنقصها حنجرة"، ما زالوا في معتقلات النظام السوري، أبرزهم بالطبع يحيى الشربجي، الناشط اللاعنفي، وصاحب مبادرات التوعيّة الاجتماعيّة والنشاطات الأهليّة التي تستلهم فكرا إسلاميّا لاعنفيّا. يحيى المعتقل حاليا، كان معتقلا أيضا قبل اندلاع الثوّرة بسنوات، على خلفيّة تلك النشاطات. أمّا رفيقهما الآخر، الناشط إسلام الدّباس، فقد مضى بيدين عاريتين إلا من قوارير مياه صغيرة مع ورود، وبصدر عار إلا من قلب ينبض بمشاعر الأخوّة نحو السوريين الذين سيقومون.. باعتقاله: عناصر الأمن والشبيحة!

عن داريّا، المدينة الثائرة؛ انخراطها المبكّر والمستمر في الثوّرة السوريّة، أهمّ محطاته وأبرز مظاهره، هنا حديث مع ناشطين من أبناء المدينة.

في المقدّمة

لم تنتظر داريّا قطار الثوّرة كي تلتحق به. على العكس، كانت جزءا من قاطرة ضمّت إليّها كلاً من درعا ودوما وبانياس وغيرها من المدن التي اندلعت فيها أولى المظاهر الاحتجاجيّة ضد النظام السوري. يقول أبو محمود وهو أحد ناشطي المدينة: "داريا من المناطق التي دعت للتظاهر في يوم الغضب السوري، وشارك عدد من أبنائها في اعتصام السادس عشر من آذار أمام وزارة الداخلية، حيث اعتقل منهم ثلاثة شبان وفتاتان، ثم انطلقت أولى التظاهرات في شوارع المدينة في 25 آذار العام الماضي، من مسجدي أنس بن مالك والعباس". كان الردّ بحسب أحد أبناء المدينة وائل ناطور (اسم مستعار) في يوم الجمعة التالية، الأوّل من نيسان، "حيث تم نشر حوالى ألف عنصر من الأمن والشبيحة المسلحين بالعصي والهراوات، وقاموا بتفريق المتظاهرين الذين خرجوا من مسجد طه، واعتقل حوالى عشرة أشخاص على الأقل، بينهم جرحى".

وكغالبيّة المدن والقرى السوريّة الثائرة، كان يوم الجمعة العظيمة، الثاني والعشرون من نيسان قبل عام، قد شكّل ذروة في عدد المتظاهرين. يقول أبو محمود: "خرجت التظاهرات من عدّة جوامع، والتقت في شارع الثورة، ثم توجه المشاركون إلى شارع الباسل، حيث قوبلت هذه التظاهرات بالرصاص الحي والغازات المسيلة للدموع". الأمر الذي خلّف، بحسب وائل، ثلاثة شهداء هم أوّل من سقط من أبناء المدينة. يقول: "استشهد كل من وليد خولاني، المعتز بالله الشعار وعمار محمود، وذلك بعد إصابتهم برصاص قناصة أثناء مشاركته في التظاهرة". يتابع: "جرى لهم تشييع كبير شارك فيه عشرات الآلاف من أهالي داريا، وقد أعلن الحداد ثلاثة أيام، فأغلقت المحال التجارية، وتم نصب خيام العزاء لاستقبال وفود المعزّين من المدينة ومن خارج المنطقة".

من جهته، يقول أبو محمود "قرعت كنائس المدينة أجراسها أثناء مرور موكب التشييع، وشارك عدد من الأخوة المسيحيين بتقديم واجب العزاء". ويضيف: "لم تكن تظاهرات الجمعة العظيمة سوى بروفا أوليّة في المدينة التي لا يزيد عدد سكانها عن مئتي ألف، فقد سجلت تظاهرة كبيرة زاد عدد المشاركين فيها عن ثلاثين ألفا في الرابع من شباط الماضي أثناء تشييع شهداء جمعة "عذرا حماة".

الصدام الأوّل... والمستمر!

سعى ثوّار المدينة إلى إسقاط النظام في وقت مبكر. يوم الجمعة العظيمة، جرت محاولة إسقاط النظام رمزيّا "من خلال تحطيم تمثال حافظ الأسد في شارع الشهيد طالب السمرة (شارع الباسل سابقا). استبقوا المحاولة، بحسب أبو محمود، بهتافهم لأوّل مرّة: "الشعب يريد إسقاط النظام". يومها، سقط الشهداء الثلاثة السالف ذكرهم. وشهدت المدينة "أول حالة اشتباك بين قوى الأمن، الذين استخدموا الغازات المسيلة للدموع والقنابل الغازية والرصاص الحي، مع المتظاهرين السلميين حاملي الورود"، يقول وائل.

بعدها بأسبوع، ستشهد المدينة أولى عمليات الاقتحام التي قامت بها مخابرات النظام. يشرح وائل: "في الثلاثين من نيسان، أي بعد شهر ونصف من تاريخ اندلاع الثوّرة، قامت المخابرات بمداهمة المنازل واعتقال مجموعة من الناشطين". الأمر الذي سيتكرر، بحسب أبو محمود، في كل يوم جمعة منذ ذلك الحين: "لا يكاد يخلو يوم من دون وجود ميليشيات النظام ورجال الأمن والجنود المسلحين، إضافة إلى السيارات والمصفحات والمدرعات، التي تركز بشكل كبير على المساجد والمشافي، هذا بالإضافة إلى الانتشار الأمني الكثيف لترهيب الناس طيلة أيام الأسبوع، وخاصة أوقات الدوام المدرسي، إذ يتمركزون بشكل كبير عند أبواب المدارس".

ويتحدث وائل بدوره عن "الحواجز الأمنية الدائمة عند مداخل داريا الرئيسية، إضافة إلى الحواجز الأمنيّة الطيّارة لملاحقة الناشطين، ناهيك عن الاقتحامات والمداهمات المستمرة للمنازل وتحطيم المحال التجارية وسرقتها عقب كل إضراب". ويتابع: "ثمّة عمليات اقتحام لا تنسى، نظرا لما تخلفه من ضحايا بأعداد كبيرة، ومنها مثلاً: الاقتحام الذي جرى في جمعة آزادي، في العشرين من حزيران الماضي، ثمّ في الأوّل من كانون الثاني هذا العام، حيث كان من المفترض وصول لجنة المراقبين العرب، وفي أحد أيّام أواخر شهر شباط الماضي قامت مخابرات النظام باعتقال ثمان من نساء المدينة، وكذلك سُجل اقتحام آخر في السادس من نيسان، وتم تدمير عدة منازل واستشهد عدد كبير من أفراد الجيش الحر أثناء الاشتباك مع القوّات المقتحمة".

بالطبع، رغم كلّ هذا وأكثر، بقيت داريّا في واجهة الحراك الثوّري مع غيرها من مدن ريف دمشق. يقول أبو محمود: "استمر الحراك في داريا حتى بعد اقتحام الجيش لها، من خلال التظاهرات الأسبوعية والمسائية، بمشاركة النساء والأطفال وطلاب المدارس، وكذلك تظاهرات الشموع التي تجوب شوارع المدينة".

سلميّة.. وأكثر!

قدّمت المدينة للثوّرة السوريّة بعضاً من أهمّ أيقونات النضال السلمي. الأمر الذي عزّز من حضور ثقافة اللاعنف في صفوف الثوّار. كانت حادثة تقديم المياه والورود لرجال الأمن هي الأولى والأبرز. الأمر الذي قام به بعض من أهم نشطاء المدينة ممن استشهد أو اعتقل، أو ممن يكمل المسيرة، فيكرر تلك التجربة بأساليب وأشكال جديدة ومبتكرة (راجع الكادر). بحسب أبو محمود، "قبل الاجتياح الأوّل للمدينة بأسبوع، قامت مجموعة من أبناء داريا بتقديم الطعام لرجال الأمن المتواجدين على الحواجز". فضلاً عن ذلك، تعتبر المدينة مركزاً لنشاطات الكفاح السلمي التي تنفذها أكثر من مجموعة شبابيّة. وفي هذا الصدد، يقول أبو محمود: "نسعى بصورة دائمة إلى تأكيد سلميّة الثوّرة، مستخدمين الأساليب اللاعنفية، مثل: تغيير أسماء الشوارع والساحات الرئيسية واستبدالها بأسماء الشهداء، إطلاق "بوالين" الحرية، توزيع مناشير للتوعية وللدعوة للإضراب، شموع الحرية، تعليق صور المعتقلين وأسمائهم على جدران المحكمة وفي الشوارع العامة، حملات "بخ" شعارات ثوريّة على الجدران، حماية المنشآت العامة والمؤسسات الحكومية من التخريب عن طريق جدار بشري يصنعه المتظاهرون أنفسهم... ".

تستمر المدينة الصغيرة، التي قدّمت للثوّرة السوريّة حتى اليوم أكثر من ثمانين شهيداً وألف معتقل، ما زال 400 منهم قيد الاعتقال التعسفي، بينهم أطفال ونساء، في تقديم المزيد. المدينة التي خسرت أرواحاً كثيرة حين حاول بعض من أبنائها رفع علم الاستقلال السوري (علم الثوّرة) على مبنى بلديتها، لا تمتلك إلاّ أن تستمر في المحاولة: رفع العلم.. حتى النصر!

بناء سوريا الجديدة

لا يبدو على نشطاء المدينة وثوّارها عموماً أنّهم يعرّفون الثوّرة بالسلب؛ إذ لا يقتصر الأمر بالنسبة لهم على إسقاط النظام فحسب، بل إنّهم، ومن خلال جملة من النشاطات المتعلقة بجوانب مختلفة من الحياة الاجتماعيّة، يسعون إلى بناء سوريا الجديدة في نطاق مدينتهم. انطلاقاً من ذلك يغدو "تقديم الهدايا لأمهات وأبناء الشهداء والمعتقلين، بمناسبة عيدي الأضحى والفطر وعيد الأم، وكذلك زيارة عائلات الشهداء والمعتقلين وتقديم الدعم المادي لهم" نشاطاً ثوّرياً بحسب أبو محمود.

من جهته، يضيف وائل "ثمة من يقوم بإجراء دورات الدعم النفسي للأطفال المصابين بالصدمة، وكذلك دورات الإسعاف الأولي، في ظل تحوّل عملية إسعاف الجرحى إلى المنازل والمشافي الميدانية بدلاً من المشافي العادية، خوفاً من اختطاف المصاب من قبل قوى الأمن".

يتابع وائل "قمنا، بالتعاون مع ثوّار مدينة المعضميّة القريبة، بمعرض لرسومات الأطفال، هذا فضلاً عن المشاركة في تشييع وتعزية شهداء المناطق الأخرى، وإرسال معونات مادية لأهالي المناطق الأخرى المنكوبة، واستقبال الأهالي المهجرين من حمص".

ملحق شباب السفير 8 / 5 / 2012

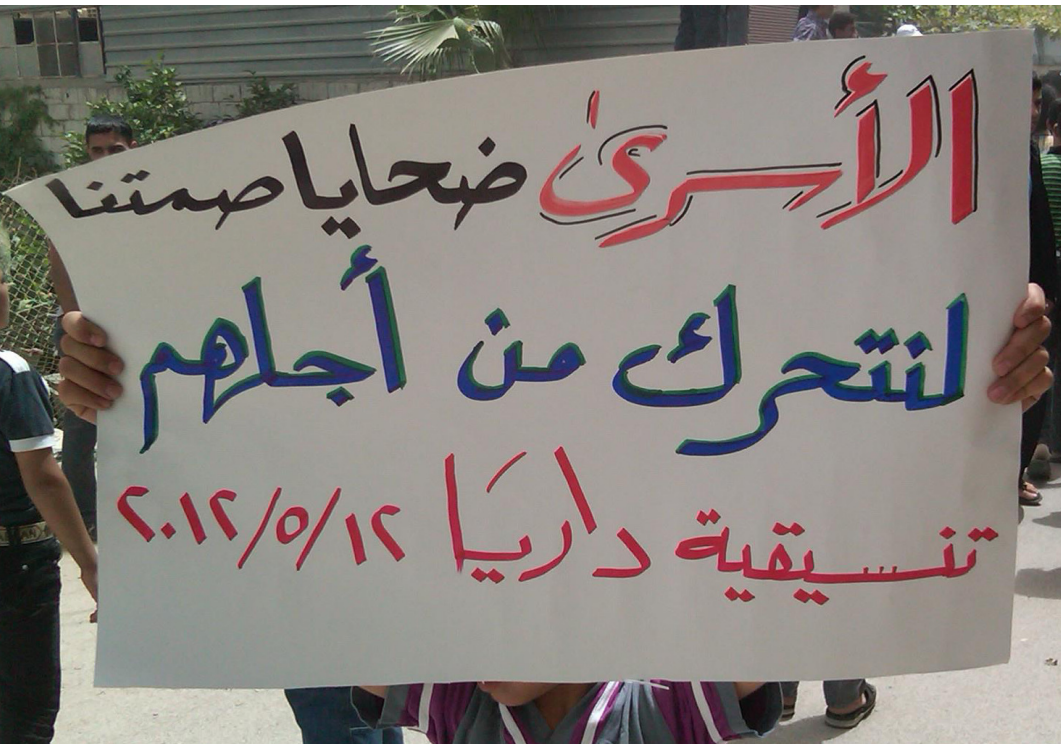

متيقنة مما يحدث

■ رشا عمران

متيقنة تماماً من الحدث
مـن الشـوارع التـي لـم تعد مفـردات فـي النص الشعري
من الوجوه التي انفصلت عن لامبالاتها
من الأسماء الحقيقية
والأسماء المستعارة
من المدن النائية التي جردت من أحلامها
والمدن القريبة أيضاً
مـن المـآذن ترتفـع كل ليلـة أعلـى من السـماء السابعة
من أصوات المكبرين والمغنين والحزانى
مـن الأطفـال يحملـون نبوءاتهـم علـى أكفهـم الصغيرة
من الأطفال يتركون شـغبهم على أسـرَة أمهاتهم ويمضون للموت
والأطفال الذين اخترقوا أعمارهم
مـن النسـاء اللواتـي خلعـن حجـاب الخـوف عـن أرواحهن
والنساء الفخورات بحجاب حريتهن
من الأمهات يمضين ليلهن يحيكن أكفان أبنائهن
من الزوجات المنتظرات
من العشـيقات فـي الأقبية المظلمـة يميزن صوت الألم لعشاقهن
من العشـاق يخفون صرخات آلامهم عن عشيقاتهم في الأقبية المظلمة
من الشـيخ المؤمن يسأل عن حال صبية ملحدة في القبو نفسه
من الصامتين المركونين إلى هواجسهم
من المغيبين في خديعة الشعارات
المصدقين لما يريدون تصديقه
الخائفين من النصل الحاد للحقيقة
من البيوت المهدمة
من أصحابها المتمسكين بها كخاتم الزواج العتيق
من التاريخ يلعق أرشيف الجريمة الماضية
من الحاضر يستعيد شريط المجازر اليومية
من الحناجر المرمية على الإسفلت
من الأعضـاء المتروكة على الإسـفلت وعلى التراب كبقايا الطعام
من الأعضاء المرمية في النهر كطعام للسمك
مـن الدود يطلع من الجثث المتعفنة في المشـافي الحكومية
من الجثث المعروفة
والجثث التائهة بين ملامح مستعارة
مـن أحذيـة مسـتوردة تسـتبيح الأجسـاد والغرف والمقابر
من المقابر تتناسل يوما بعد يوم
من الزهر الحزين على الأضرحة الحزينة
من الوردة وهي تغص بالماء القاتل في التجمعات
من الهاربين من الخوف إلى خوف مضاعف
مـن الهاربين وهم يتركـون دموعهم على الطريق كي لا يتوهوا في دروب عودتهم
مـن أصدقائـي المتلصصين على صفحـات الفيس بوك الصريحة
من أصدقائي الواضحين المعلنين
من أصدقائي المتخفين الذين ينتشـلون الأمل من مخابئهم

مـن عشـق مباغت لصديـق اختار أن يهجر عشـقه منحازاً لاختفائه النبيل
من المثقفين المفصومين
والمثقفيـن المحتاجيـن للطعـن فـي قناعاتهـم السابقة
من الشعراء الباحثين بلا جدوى عن لغة جديدة
الشعراء الملاحقين إلى أقساط منازلهم الصغيرة
الشعراء الذين لا تفارقهم القهقهة رغم المرارة
من صديقاتي اللواتي يصغن تفاصيل أوقات دمشق وهن موقنات أن الشهرة الآن
محض افتراء على الدم
من الدم الذي ينتصب في كل لحظة كجلجة متنقلة
الدم الذي يشـهر أصابعـه النحيلة فـي عيني قاتل متسلسل على طريقة الأفلام الأميريكية
من القاتل يحفر كل لحظة مجار جديدة للدم
من مجار لدم سائل لا يتخثر
من دم لا يتبخر
دم من المدن البعيدة
دم من المدن القريبة
دم لا لون واحد له
ولا زمرة واحدة
دم يلطخ الشاشات الكبيرة والصغيرة
دم يلطخ سماعة الهاتف
دم معارض
دم موالي
دم في الاجتماعات الطارئة في الغرف السرية
دم في الحلوق
دم في المفردات
دم في الضحكات المباغتة
دم في السهر
دم في الجنس
دم بديل عن الدمع
دم في الهواء
دم في الغبار
دم في السجائر

دم في المشروب الرخيص
دم في الليل
في الستائر
على الكنبة
على السرير
دم على الأصابع
دم في الوحشة
وفي الحنين
وفي الانفصال عن المكان
دم في الهواء
في النعاس
في النوم
في الكوابيس
في محاولات التأقلم
دم في البيت الغريب
في الشوارع الغريبة
دم لم نتنفسه يوماً
دم في كل شيء
دم يتركه القاتل
يطلقه القتلة
القتلة الذين مازالوا هناك "
كما يقول صديقي الشاعر
صديقي الشاعر الذي ما زال هناك
يحرس قصيدته من تفاصيل القتلة
بينما أنا هنا
متيقنة من الحدث
متيقنة تماماً
كي أقول :
أن
ليس هذا نصا شعرياً
هو مجرد يقين عن أن الحدث
يحدث هناك يومياً
وأنني أنا البعيدة الآن
لا أكف عن اليقين به

القاعدة في سوريا.. حقائق أم أكاذيب؟

■ ياسر سعد الدين

كثر اللغط والكلام عن وجود القاعدة في سوريا والخشية من أن تتحول البلاد -التي تفقد فيها حكومة الأسد السيطرة على الأمور يوما بعد آخر- لدولة فاشلة ومأوى لما تسمى بالجماعات الإرهابية والمتطرفة.

حتى حسن نصر اللّه حاول الاستفادة من شريط منسوب لأيمن الظواهري ليبرر مواقفه السلبية بشدة من الثورة السورية والتي هزت صورته شعبيا وبشكل كبير. وفي حين يصر النظام على وجود عناصر للقاعدة في سوريا، تؤكد المعارضة أن النظام هو المسؤول الأول والأخير عن التفجيرات والمفخخات التي تهز البلاد بين حين وآخر.

وتستند المعارضة في ذلك إلى أماكن وتوقيت التفجيرات التي عادة ما تسبق زيارة وفود المراقبين عربا ودوليين. كما ينقل الناشطون لقطات من وسائل الإعلام الرسمية تظهر ما يعتبرونه فضائح وإخراجا رديئا لمسرحيات دموية قاتلة.

ويتساءل البعض إذا كانت التفجيرات ناتجة عن قنابل بشرية منطلقة من فكر استئصالي فلماذا تستهدف حي الميدان الثائر أكثر من مرة ولا تستهدف أحياء تنتمي لطائفة الأسد على سبيل المثال؟ وحتى نتعامل مع الحالة الجدلية بأسلوب حيادي مهني بقدر المستطاع، سنستعرض صورا حديثة وأخرى تمتد لسنوات خلت لأحداث ومواقف تتعلق بطريقة أو أخرى بالموضوع، لعلها تجعل قدرة القارئ على الحكم على الموضوع أكثر علمية وموضوعية.

• حين وقع تفجيرا دمشق الجمعة 2011/12/23 اللذان استهدفا -حسب الرواية الرسمية- فرعا أمنيا ومبنى إدارة المخابرات العامة عمدت السلطات السورية وبعد دقائق من التفجيرات إلى تحميل تنظيم القاعدة المسؤولية وبشكل مريب وغريب. هذا التسرع دفع حسين مرتضى مراسل قناة العالم الإيرانية بدمشق وبحسب بريد الأسد الإلكتروني المسرب لإرسال نصيحة للسلطات منقولة من حزب اللّه والحكومة الإيرانية توصي بالتروي حفاظا على المصداقية.

• شاكر الدراجي، عضو ائتلاف دولة القانون الذي يترأسه المالكي، قال في أغسطس/آب الماضي إن المتظاهرين السوريين كانوا من تنظيم القاعدة، وإن إسرائيل ودول الخليج وراء هذه المظاهرات. وأوضح أنه إذا تمت الإطاحة بنظام الأسد سيتولى أفراد تنظيم القاعدة السلطة وسيستخدمون سوريا كقاعدة لشن هجمات على العراق والمنطقة. وحسب الدراجي، يستهدف مخطط إسرائيل ودول الخليج العربي استغلال الاختلافات الطائفية بين الأسرة الشيعية الحاكمة في سوريا والأكثرية من السنة لصالحهم. اتهام الدراجي خلا من المنطقية، وهو محاولة مشبوهة لتوظيف فزاعة القاعدة من أجل دعم نظام الأسد سياسيا والتخويف من مساندة الثورة السورية التي كان طابعها السلمي ما زال سائدا في ذلك الوقت.

• حين وقعت أحداث مخيم نهر البارد عام 2007 أشارت أصابع الاتهام للنظام السوري الذي من مصلحته وقتها زعزعة الاستقرار في لبنان للتهرب من استحقاقات المحكمة الدولية في مسألة الحريري. بشار الجعفري نفى تورط بلاده وقال حينها إن متشددين يقاتلون قوات الجيش اللبناني أودعوا السجن في دمشق قبل سنوات قليلة لصلاتهم بتنظيم القاعدة وسيعاد اعتقالهم إذا عادوا إلى البلاد، وإن عددا من أعضاء الجماعة قضوا "ثلاثة أو أربعة أعوام" في السجون السورية "قبل عامين"، بسبب روابط مع القاعدة، ثم أفرج عنهم وغادروا البلاد.

وأضاف قائلا للصحفيين: "إذا عادوا إلى سوريا فإنهم سيودعون السجن.. إنهم لا يقاتلون لمصلحة القضية الفلسطينية. إنهم يقاتلون لمصلحة القاعدة". وقال إن معظم قادة الجماعة فلسطينيون أو أردنيون أو سعوديون، وربما أن "اثنين منهم" سوريان. وأضاف أنه بعد إطلاق سراح قادة الجماعة بدؤوا "ممارسات إرهابية"، ودربوا "عناصر جديدة" لمصلحة القاعدة، لكنهم غادروا سوريا حتى لا يتعرضوا للسجن مرة أخرى.

إذن في سوريا وفي تلك الفترة يحاكم ناشطون بأحكام قاسية لمواقف سياسية سلمية، في حين يقضي في سجونها ولمدد قصيرة نسبيا عناصر بارزة وقيادية من "القاعدة"!! ثم يكون لهم -حسب السفير السوري- بعد إطلاق سراحهم ممارسات إرهابية وتدريب لعناصر جديدة ومن ثم يغادرون البلاد بسلام من بعد مع الانتباه إلى أنهم لو عادوا للقبض عليهم.

• في الصفحة الأولى للوطن السورية الصادرة في 2012/4/29 خبر عن إعدام الجيش الحر لوليد بستاني أحد قيادات فتح الإسلام، والدليل شريط فيديو وصل بطريقة عجيبة لقناة متعاطفة مع النظام ورد فيه اسم أحد قيادات تيار المستقبل اللبناني، فهل كان محتوى الشريط حقيقيا أم صوّر في أقبية المخابرات السورية؟ أسئلة تحتاج لجهات محايدة ومستقلة لتقديم إجابات علمية ومنطقية.

ناشطون اعتبروا أن الأمر قد يكون مفبركا، فالنظام يهدف لإثارة البلبلة والتحذير من تسليح الجيش الحر، واللعب على وتر القاعدة وتشويه سمعة اللبنانيين المتعاطفين مع معاناة السوريين المضطهدين مثل تيار المستقبل في لبنان وغيره.

• ما إن تحدث تفجيرات في سوريا حتى يبادر إعلام النظام وقبل أي تدقيق أو إجراء تحقيق لوصف التفجير بأنه انتحاري ليعزز نظريته بأن القاعدة تنشط في الداخل السوري.

• في مقابلة مع صحيفة صنداي تلغراف يوم الأحد 2011/10/30 قال الأسد إن "سوريا اليوم هي مركز المنطقة. إنها الفالق الذي إذا لعبتم به تتسببون بزلزال.. هل تريدون رؤية أفغانستان أخرى أو العشرات من أفغانستان؟".

• في صيف 2003 نشرت مجلة نيويوركر الأميركية تقريراً لسيمور هيرش، سرد فيه تفاصيل التعاون الوثيق بين أجهزة الأمن السورية والمخابرات الأميركية. وكشف هيرش أن الأميركيين حصلوا من السوريين على "كارت بلانش" لدراسة وتدقيق آلاف الملفات والوثائق والمستندات السرية التي تخص رجالات القاعدة في ألمانيا بصفة خاصة.

كذلك أشار التقرير إلى فضل الجانب السوري في إفشال عمليتين ضدّ القوات الأميركية: واحدة ضدّ الأسطول الخامس في البحرين، والثانية ضدّ هدف في أوتاوا بكندا. المعلومات الاستخباراتية السورية التي أدهشت الأميركيين حينها ناتجة عن اختراقات أجهزة أمنية سورية متمكنة لمنظمات ذات صلات وعلاقات بتنظيم القاعدة. الأمر الذي يطرح علامات استفهام حول ما يجري في سوريا الآن، هل هو تدبير من أجهزة النظام أم توظيف لاختراقات وعلاقات سابقة أم أن الأمن السوري فقد قدراته التي كان يوظفها للتقرب والتواصل مع الأميركيين؟

• نقلت صحيفة تلغراف البريطانية في شهر فبراير/شباط الماضي خبر إطلاق سلطات الأسد سراح أبو مصعب السوري (مصطفى ست مريم نصار) المتهم بأنه العقل المدبر لتفجيرات لندن قبل سبع سنوات من معتقله في حلب في ما يبدو أنه تحذير للولايات المتحدة وبريطانيا من عواقب سقوط النظام وإدارة ظهرهما له في مواجهة الانتفاضة التي تشهدها البلاد، وتقول الصحيفة: إن النظام السوري ربما أفرج عن أبو مصعب كرد فعل على الحملة الأميركية والغربية ضده.

• أبو القعقاع (محمود أغاسي) كانت له خطب جهادية حماسية إبان الغزو الأميركي للعراق، شكل جماعة قام بتدريبها في جامع في حي الصاخور بحلب، ونظم مهرجانات قدم فيها أتباعه عروضا للقتال، ونشر خطبه الجهادية النارية على أقراص مضغوطة. تمت تصفيته واغتياله يوم 2007/9/28 وربما التخلص منه بعد أن استثمره النظام في حشد المقاتلين في العراق واللعب بورقة المقاومة دعما واختراقا ليتم استخدامها كورقة مساومة سياسية.

وبحسب تقرير لهيومن رايتس ووتش: "بعيداً عن العدالة: محكمة أمن الدولة العليا في سوريا"، الصادر مطلع 2009، فلقد كانت السلطات السورية تسمح لدبلوماسيين غربيين بحضور محاكمات أمن الدولة رغم افتقادها للمعايير القضائية السليمة بحدها الأدنى لتحاكم بحضورهم سلفيين وتحكم عليهم خلال دقائق بسنوات في السجن لمجرد أنها ضبطت معهم أشرطة لأبي القعقاع.

• في مقابلته الشهيرة مع نيويورك تايمز في مايو/أيار 2011 قال رامي مخلوف ابن خال الأسد ورجل النظام الاقتصادي الأول إن "السلفيين" هم البديل عن النظام، وإنه إذا لم يكن هناك استقرار في سوريا فمن المستحيل أن يكون هناك استقرار في إسرائيل،

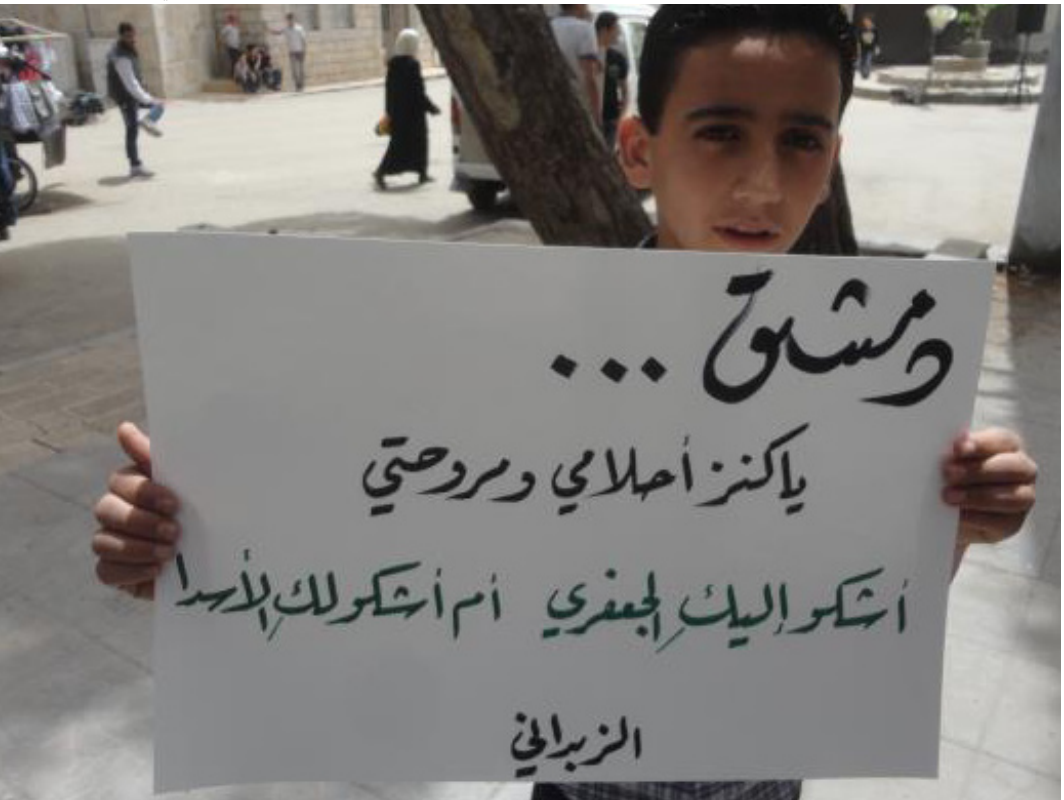

مضيفا أنـه لا توجد طريقة ولا يوجد أحد ليضمن ما الذي سيحصل بعد، إذا لا سمح الله حصل أي شيء لهذا النظام. وقال مخلوف في المقابلة لا تدعونا نعاني، لا تضعوا الكثير من الضغوط على الرئيس، لا تدفعوا سوريا إلى فعل شيء لن تكون سعيدة بفعله، يجب أن يعلموا أننا حين نعاني، لن نعاني وحدنا. وهكذا يسبق مخلوف الأحداث والعالم ليتحدث عن السلفيين، وعن أفعال يقوم بها النظام لن يكون سعيدا بها وستؤدي لمعاناة الجميع. فهل كان مخلوف يقصد فتح عش دبابير القاعدة في البلاد بتخطيط وتدبير من النظام ليهدم المعبد على الجميع؟

إذا كان وصول طرف محايد لاستنتاج قطعي ويقيني حول وجود القاعدة في سوريا واقعا أو بروغاندا، أمرا ليس باليسير، فإن استفادة النظام السوري من هذا الأمر مؤكدة، كما أنه يسبب حرجا للمعارضة السورية التي تتباهى بعلاقاتها الخارجية وبتنوعها الإثني والمذهبي، بل تطالب بتدخل خارجي، وهو ما يتعارض تماما مع فكر وأيديولوجيا القاعدة.

أطراف من المعارضة تقول لو افترضنا جدلا أن هناك عناصر من القاعدة في البلاد وأن الأمر خارج سيطرة الدولة وليس برغبة منها، فإن تصرفات النظام ودمويته وملاحقته للناشطين السلميين، وتأخر المجتمع الدولي والعربي عن إيقاف شلال الدم السوري، هو الذي يتحمل وزر هذا الأمر وليس الثورة أو المعارضة السورية.

وإذا استذكرنا أن الإرهاب قضية دولية وعالمية، وأن النظام السوري كان سباقا لتقديم يد العون للسلطات الأميركية في محاربته، وبما أن القضية السورية دخلت حيز التدويل بقراري مجلس الأمن 2042 و2043، فإن من واجب المجتمع الدولي تشكيل لجان تحقيق حول الأعمال الإرهابية المدانة في سوريا لمعرفة من يقف وراءها.

كما أن تلك اللجان ستكون بمثابة رد إيجابي على طلب وزير الخارجية السوري وليد المعلم للأمم المتحدة بمساعدة بلاده على محاربة الجماعات الإرهابية في رسالة "عاجلة" بعث بها إلى الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون في 10 يونيو/حزيران من العام الماضي.

ملفات المعرفة: وجهات نظر | الجزيرة

يا سـنديان بـلادي

يحكى أنـه في إحدى الغابات المزدهرة حيث النهر العظيم والطير والزهر والأشجار المخضرة.. وحيث لا شر ولا ظلم بعد طرد الأفعوان ذو الأجراس المجلجلة.. الذي اختبأ في جحر قريب ينتظر غفلة السنديان كي يعود.. وحين سأم الانتظار.. وسوس في رأسه كل أعوانه الأشرار.. يا إلهنا الأكبر في أرضهم ينبت غصن بائس متطفل لا حول له ولا قوة لكنه نبات شيطاني يحتاج فقط جرعة من سمك حتى ينمو بسرعة جنونية تفوق سرعة السنديان بأربعين عاما.. أعجب الأفعوان بالفكرة وتم إيصال السم للنبات في ليلة غير مقمرة..

عاد الصباح متثاقلاً بخطوه ليكشف عن اختناق الزهور ذات الأعناق الصغيرة والألوان الأثيرة.. لم تتنبه كل أشجار الغابة بعد لكن الدالية الحانية وحين تلمست أغصان النبات المتطفل تخنق بعض أغصانها وتعصر عناقيدها أدركت سر انتحار الزهور الجماعي (كما روح الأشرار) فأخذت تصارعه و تلتف حوله فاقدة الكثير من أغصانها المتفرعة على مد النظر.. تنبه الصبار والتفاح والليمون والدراق.. تنبهوا جميعا لكن قصر قاماتهم (كما ظنوا) جعلهم يخلعون الرداء الأخضر الأبي مستسلمين لرياح الشتاء المدمرة.... ومرت السنين والدالية الثكلى تبكي أربعين ألف عنقودا سقطوا والأزهار اعتادت الموت يوم ولادتها حتى أن الياسمين صار يَعدُ بمواسم ثلج أبيض تغطي أرض الغابة الخانعة.

وفي الربيع الأربعين فرت إحدى أغصان الزهور ونمت في بقعة صغيرة تحت ظل السنديان حيث لا تصلها أيدي النبات الغاشم.. لكنها كانت أزهار مختلفة تضج ألوانا معطرة فتنبه السنديان لعطرها وهنا كان النبات قد تطاول على قامته و سرق الكثير من خصوبة غابته...

قالتها الأزهار أولاً: ارحل من غابتنا أيها الخائن.. فداس النبات على أعناقهم بغرور الجبناء مختالاً بطوله و مطمئنا لأفرعه الكثيرة الملتفة حول كل الأشجار المستكينة..

وما هي إلا صباحات متكررة حتى تجرأت كل الأشجار عليه وصرخت ارحل يا قاتل الأزهار.. صباحات تلت ليال منكوبة حيث أن الغابة المنتفضة كانت تودع كل يومً شجرة مثمرة.. اغتر النبات أكثر واقترب من معاقل السنديان أكثر.. فكانت البداية... هذه هي البداية أيها الافعوان... فهي لم تنتهي (كما زعمت) حين وصلت للسنديان.. فهنا شجر دائم الخضرة خشبه أقسى وأصلب من أنيابك الغادرة وصوته أعلى من أجراسك الواهية... إنه السنديان ذو الجذور المتفرعة المتماسكة فهذه التربة لا تنجرف أبدا ولا يحفر فيها أوكارٌ لنسلك الشيطاني..

هذه هي البداية مع السنديان الذي يدرك بإيمان راسخ أن لا جذور لك في غابتنا أيها الجبان...

تحية إلى السنديان.

■ مشاركة: د. لانا صفية

تاج الدين الحسني 1890 - 1943

■ ياسر مرزوق

الشيخ محمد تاج الدين الحسني هو رجل الدين و السياسة الدمشقي المولد و النشأة المراكشي الأصل، ولد بدمشق سنة 1890م. والده الشيخ محمد بدر الدين الحسني، محدث الديار الشامية الأكبر، وسليل الأسرة العريقة التي يعود نسبها للعترة النبوية الشريفة، نشأ محمد تاج الدين في كنف والده ورعايته، ودخل المدارس الرسمية في دمشق، كما تتلمذ على يد والده وتلاميذه ليتقن علوم الحديث والتفسير والعلوم العربية وأصول الفقه والعلوم الدينية. ذلك بالإضافة للخبرة في السياسة والعمل العام من خلال الزعامة الروحية والاجتماعية التي كان يملكها والده.

تميز تاج الدين بالذكاء والدهاء وحسن التودد إلى الناس، واستغل رغبة الحكام العثمانيين في إرضاء والده فانصرف إلى الاتصال بهم، فعين مدرساً للعلوم الدينية في المدرسة السلطانية بدمشق سنة 1912م، ثم كان من أعضاء مجلس إصلاح المدارس، ومن أعضاء المجلس العمومي لولاية سورية في عهد العثمانيين، كما تولى تحرير جريدة الشرق سنة 1916 والتي أمر بإنشائها جمال باشا قائد الجيش الرابع العثماني في الحرب العالمية الأولى.

بعد انتهاء الحكم العثماني على سوريا، ودخول الحلفاء دمشق عام 1919 خاض تاج الدين المعركة الانتخابية، وفاز بالنيابة عن دمشق في المؤتمر السوري، واحتل مقعده بين رجال السياسة، كما عينه الملك فيصل سنة 1920م مديراً عاماً للأمور العلمية في دائرة كانت مرجعاً أعلى لدوائر الأوقاف والفتوى والمحاكم الشرعية والخط الحجازي - وهذه الوظائف تشبه المشيخة الإسلامية في العهد العثماني - كما درّس في معهد الحقوق مادة أصول الفقه والأحوال الشخصية والفرائض والوصايا.

لمّا دخل الفرنسيون سوريا، خرج تاج الدين لوداع الملك فيصل، ثم لما دخل الجنرال غورو دمشق دُعي تاج الدين لاستقباله بصفته الرسمية، فامتنع وقال عبارته المشهورة: "من ودع فيصلاً لا يستقبل غورو"، فأقصي من عمله، وبقي شهورا عدة منزوياً، إلى أن تشكل وفد لمقابلة الجنرال غورو في أمور تتعلق بمصلحة البلاد، وكان من جملة حديثهم أن بينوا له مكانة الشيخ تاج الدين، وأن عزله عن منصبه لا يليق، فعين حينذاك عضواً في مجلس الشورى، ثم في محكمة التمييز، وبعد ذلك صار قاضياً شرعياً، ثم رئيساً لمجلس الوزراء و وزيراً للداخلية في 14 شباط 1928م بالقرار رقم 1812 تاريخ1928/2/14 الصادر عن المفوض السامي "المسيو هنري بونسو"، وفي بداية عهده أصدر عفواً عن السجناء السياسيين مستثنياً ما يزيد عن 70 شخصاً منهم كبار الزعماء الوطنيين" الشهبندر، القوتلي، الأطرش، عادل العظمة، شكيب أرسلان... " مما جعل الشعب يقوم بالإضرابات، ونعتوا هذا العفو بـ" العفو الأعرج" وقيل أن سبب ذلك الإشارة إلى العرج المصاب به الرئيس

تاج الدين، وبعد مدة من حكمه، أقنع تاج الدين الفرنسيين بضرورة انتخاب جمعية تأسيسية "مجلس نواب " تضع دستوراً للبلاد، وعلى إثر ذلك جرت انتخابات الجمعية التأسيسية، وعملت الجمعية على وضع دستور للبلاد، لم توافق عليه سلطات الانتداب، فقامت المظاهرات و الإضرابات في كافه أنحاء سورية، ثم لم يلبث أن أصدر المفوض الفرنسي بإرادته المنفردة الدستور السوري بتاريخ 14أيار عام1930 بعد أن أضاف عليه المادة (116) التي عطلت جوهره وأعطت صلاحيات واسعة لسلطة الانتداب، مما جعل الأوضاع تزداد اضطراباً. فأصدرت حكومة الانتداب بتاريخ 19-11-1931 قراراً بإنهاء حكومة تاج الدين الحسني.

في سنة 1934 وعلى أثر المظاهرات والاضطرابات التي رفضت معاهدة السلم والصداقة بين فرنسا وسورية، دعي الشيخ تاج الدين إلى تشكيل حكومة جديدة، بقي على رأسها حتى عام 1936، اتصفت هذه الفترة من حكم الشيخ تاج بالمظاهرات و الإضرابات التي كانت تعم أرجاء سورية، فقدم استقالته بعد أن تأزم الوضع، وكثرت الاعتقالات، وانتقل للإقامة في باريس، وبقي فيها حتى قيام الحرب العالمية الثانية ثم رجع إلى دمشق.

عهد المندوب العام لفرنسا في الشرق في 12أيلول1941 إلى الشيخ تاج الدين الحسني بمهمة رئاسة الجمهورية السورية، وفي 27أيلول1941 تقدم المندوب العام إلى الحكومة السورية بتصريح خطي يتضمن إعلان استقلال سورية، وقعه تاج الدين الحسني. في هذه الأثناء عيّنت بريطانيا الجنرال ادوارد وزيراً مطلق الصلاحية لبريطانيا في سورية ولبنان. اشتد الخلاف بين رئيس الجمهورية تاج الدين ورئيس وزرائه حسن الحكيم، فأصدر مرسوماً بحل الوزارة، وعهد بتأليفها إلى حسني البرازي، وسارت هذه الوزارة مدة ستة أشهر على تفاهم مع رئيس الجمهورية تاج الدين وسلطة الانتداب، إلى أن بدأ الخلاف حول العلاقة مع الانتداب، إذ كان البرازي يصرح بترجيح موالاة بريطانيا، بينما ثابر رئيس الجمهورية على حسن الصلات بفرنسا، ودام هذه الخلاف ثلاثة أشهر كان البرازي خلالها كثير الاتصال بالجنرال البريطاني ادوارد وتمكن تاج الدين رئيس الجمهورية من إزاحة البرازي وكلف بتشكيل حكومة ثالثة في عهده، وظل تاج الدين في سدة الحكم، إلى أن وافته المنية فجأة، وفي أوضاع غامضة حيث تعرض قبل يومين من رحيله إلى انهيار في صحته، ألزمه الفراش. ولما زادت حالته سوءاً، استُدعي بعض كبار الأطباء من لبنان، فظهر لهم أنه يشكو من احتقان في الرئة، وتسمم في الدم، وارتفعت نسبة التسمم بعد ذلك إلى درجة عالية. وتبين أن أطباءه أعطوه كمية عالية من "الداجفان" كانت كافية للقضاء عليه. ولم يعرف أحد من الذي دسّ له السم، هل الفرنسيون، أم بعض الطامعين بمنصب الرئاسة.....

توفي صباح السابع عشر من كانون الثاني عام 1943، وشيّع رسمياً، ووري الثرى إلى جانب قبر والده في مقبرة الباب الصغير بدمشق.

رحل تاج الدين بعد أن قام بدور سياسي كبير، وتعرض لحرب ضروسٍ من بعض رجال السياسة، ولاسيما من" الكتلة الوطنية"، التي كانت تقود معركة الاستقلال ضد الانتداب الفرنسي، واتهم كذلك بالتواطؤ مع فرنسة. غير أنه ثبت أمام الخصوم والحملات.

عن الباحث " عبد الغني العطري " ننقل: "كان تاج الدين من الأذكياء ومن دهاة السياسة. يتودد إلى أعدائه، ويتجاهل إساءاتهم. وكانت الصحف إبان حكمه تتمتع بقسط كبير من الحرية، وبعضها ينتقد بعنف، ويهاجم المسؤولين من دون رحمة. وكان معظم الصحف يؤيد التيار الوطني المتطرف، لذا كانت هذه الصحف توجه حملاتها المركّزة، إلى أركان الحكم، ابتداء من رئيسه الشيخ تاج الدين. وكانوا ينسبون إليه التفريط بحقوق البلاد، ومسايرة المحتلين، ويقولون إنه جاء إلى الحكم بقرار من المفوض السامي الفرنسي، لا بإرادة الشعب.

بعيداً عن السياسة، كان تاج الدين إدارياً حازماً، محباً للإصلاح، حريصاً على العمران والتقدم، قام في حكمه بتشييد الأبنية الكثيرة، لدوائر الدولة ومؤسساتها، في جميع المدن والمحافظات السورية ".

لمّا سُئل العلامة فارس الخوري عن الشيخ تاج الدين الحسيني وصحة ما كانت تقول عنه الكتلة الوطنية من أنه صنيعة الفرنسيين أجاب: " لم يكن تاج الدين كذلك، ولكنه كان وطنياً سورياً مخلصاً وعاملاً باراً في الحقل العام.. إلا أنه كان يختلف عنا معشر رجال الكتلة بالاجتهاد، فيقول ليس بالإمكان أبدع مما هو كائن، ولذا فإنه كان يتظاهر بالتفاني بصداقته للفرنسيين لجلب أكبر نفع لبلاده، ودرء ما يمكنه درؤه من الضرر، إضافة إلى أنه كان عمرانياً كبيراً خلّف آثاراً كثيرة في مختلف أنحاء الوطن السوري ناطقة بفضله" كما سُئل فارس الخوري عما إذا كان راضياً بدخول شقيقه فائز الخوري في الحكم كوزير للخارجية السورية في عهد الشيخ تاج الدين غير الدستوري عام "1941-1943" فأجاب: طبيعي أنني كنت راضياً وإلا لما كان دخل في الحكم.

لم تمح من ذاكرة أهالي الحلبوني تفاصيل سكن الحسني في حيهم فبمجرد سؤال أي شخص كبيراً كان أم صغيراً من سكان المنطقة عن القصر الذي أقام فيه الشيخ تاج الدين الحسني، يشير إليه بالبنان «هنا كان يسكن رئيس الجمهورية» فالقصر السابق يعد من أهم البيوت العربية والتاريخية التي ارتبطت بالذاكرة الوطنية وحافظ منذ تأسيسه على قيمته الفنية والأثرية رغم الترميمات الكثيرة التي أجرتها الحكومة عليه دون أن تغير من معالمه شيئاً، وقد سكن القصر من بعد وفاة الحسني كل من شكري القوتلي وجميل الألشي وسعيد الغزي وآخرين من رؤساء الحكومة والمسؤولين الكبار فيها وتشغل القصر اليوم إحدى الجهات المختصة.

يـــوم الشـــــهداء

■ خالد كنفاني

"وإياكم والحـزن، لأني أكره الحزن والحزانى، وثقوا بأن روحي ترفرف دائماً فوقكم فأرى كل حركـة من حركاتكم، فأراكـم ولا ترونني، فـإذا حزنتم أهرب من عندكم، وإياكم أن تغيروا ثيابكم أو عادة من عاداتكم.. "

كانـت هـذه جملـة مقتبسـة مـن وصية الشـهيد رفيق رزق سلوم، كتبها قبيل إعدامه في 6 أيار من العام 1916

في السادس من أيار، علق السفاح جمال رقاب الأحـرار من نخبة المثقفين والسياسـيين العرب في دمشق وبيروت علـى أعواد المشـانق، ولكنه لم يتمكن من أن يطفئ حمية هذا الشعب وشعلته الملتهبـة، فإذا به ينتفض في كل مكان مطلقاً صرخة الحرية، وما هي إلا أشهر معدودة حتى أطيح بالمسـتعمر القديم، ولكـن مسـتعمرا جديـداً فرنسـياً كان يتربص بهذه الأرض وأهلها الدوائر.

هكـذا تحولـت ذكـرى هـذا اليوم لتشمل جميع شهداء الوطن الأبرار، جميع أولئك الذين ضحـوا بدمائهم وحياتهم، علـى أمل حياة جديـدة أفضل لأولادهم وأحفادهـم ووطنهـم، لقـد انضمـت قوافل من الشـهداء إلى قافلة الشـهداء الأولـى علـى يـد المسـتعمر العثماني، منها سقطت في النضال ضد المستعمر الفرنسـي أو الإنكليـزي، فـي سـبيل الاسـتقلال والحريـة وسـيادة الوطـن، وبعدها قوافل من الشهداء في صراعنا الـدؤوب ضـد المسـتعمر الصهيونـي وكيانـه الغاصب في فلسـطين، معارك طاحنة، ما تزال قوافل الشـهداء تذهب في أتونها قافلة إثر قافلة، ولن تتوقف، إلا بتحقيق الحرية الكاملة لسوريا.

كانت الخلافة العثمانية قد شـهدت نهايتها على يد الأتراك أنفسـهم، فبعد اسـتلام السـلطان عبـد الحميـد الثاني العرش في عام 1876 ارتفعت الصيحات المطالبـة بإصلاح أحـوال الإمبراطورية العثمانية، وشهدت الدولة إنشاء مجلس الأعيـان (الشـيوخ) ومجلـس المبعوثان (النـواب) الـذي انتخب أعضاؤه مباشـرة مـن الشـعب، حيـث عرفت بلاد الشـام أول برلمان لهـا، وكان من أعضائه خالد الأتاسـي عن حمص وأمين أرسلان عن جبل لبنان وحسـين بيهم ونقولا نقاش عن بيروت ونوفـل نوفل عن طرابلس. إلا أن هـذه الفترة لم تسـتمر طويلاً إذا سـرعان ما تم تعطيل الدستور، وتحول حكـم عبـد الحميـد الثانـي إلـى نظام بوليسي، واشتدت أعمال البطش والقمع التي لحقـت بدعاة الإصلاح السياسـي، وعلى رأسـهم الأدباء والمفكرين العرب الذيـن أخذوا يدعون إلـى أن ينال العرب حقوقهم القومية والثقافية والسياسية، ممـا أدى إلـى حركـة عامـة فـي جميع المجتمعـات العربيـة ترنـو إلـى تحرير العـرب من نير الاحتـلال العثماني، وبدأ المثقفون العرب تأسيس الجمعيات التي قادت هذا التوجه العام.

إثـر اكتشـاف السـلطات العثمانية وثائـق يطالـب فيها وطنيون سـوريون من الإنكليز والفرنسـيين بالتخلص من الحكـم العثماني إما بالالتحـاق بالثورة العربيـة أو بالطلـب مـن الفرنسـيين احتلال لبنان، أقام والي الشام العثماني جمال باشا محكمة صورية في عاليه في جبـل لبنان وأصدر أحكاماً بالإعدام على عدد من الوطنيين في دمشق وبيروت.

كان السـفاح وراء إعدام العشـرات مـن خيرة شـباب العـرب، الذيـن يمكن اعتبارهـم بحـق البـذرة التـي أنبتـت ونمـت وشـكلت واقعنا الحالـي، و كانوا حقيقـة رمـزا لآلام المخـاض لولادتنا، ورغـم أهميـة كل مـا تبع تلـك الولادة من أحـداث هامة في النصـف الأول من القرن العشـرين فان الحكاية، في رأيي الخـاص، قـد بدأت مـن هنا مـن لحظة إعدام هؤلاء الرجال.

هذا في الإطار العـام، أما إذا دخلنا فـي التفاصيل فإننا سـنجدها تراجيديا حقيقية مؤثرة، مازال صداها مسـموعاً إلى يومنا هذا.

غادر قطار خاص "عاليه" في ولاية "بيـروت" المنطقـة التـي أقيمـت فيها المحاكـم الميدانية الصورية للشـهداء، في الخامس من شـهر أيار سـنة 1916 وكان يقل كل من شفيق المؤيد العظم، عبـد الحميـد الزهـراوي، الأميـر عمـر الجزائري، شـكري العسلي، عبد الوهاب الانكليـزي، رفيق رزق سـلوم ورشـدي الشـمعة، حيـث حمـل القطـار أولئـك الشـهداء الأبطال تحت حراسـة شديدة من الجند ولمـا وصلوا إلى منطقة رياق التقوا بالقطار الذي ينقل عائلاتهم إلى المنافـي فـي الأناضـول وكما جـاء في كثيـر من كتـب التاريخ والسـير الذاتية والمذكـرات وصف لهذا المشـهد المؤثر عندمـا خاطبت عائلات الشـهداء ذويهم و"الدمـوع تنهمـر من العيون وحسـرات القلب تتأجج وتختلـج في الصدور وكان مشهد اللقاء و الوداع مؤلما مريرا يفتت الأكبـاد.. "، افتـرق القطـاران، بحسـب الرواية، من "رياق" إلى حلب و دمشق.

ولمـا وصـل دمشـق إلـى محطـة البرامكـة منع الجند النـاس من الوقوف هناك ثـم نقلـوا المحكـوم عليهم إلى دائرة الشـرطة في الليـل واحضروا احد الشيوخ يؤهلهم للموت ويعزيهم.

وفي السـاعة الثالثة من صباح يوم السـبت الواقع فـي 4رجب سـنة 1334 الموافق لليوم السـادس من شـهر أيار سنة 1916 أنيرت ساحة الإعدام بالأنوار الكهربائيـة وأمـرت السـلطة السـيد الشـماس صاحـب مقهى زهرة دمشـق إنارة مصابيح المقهى لتسـطع بأنوارها على الساحة.

جيء بالمحكـوم عليهم فـي ثياب الإعـدام البيضـاء وعلـى صدورهـم خلاصـة الحكـم وبـدئ بالتنفيـذ أولا بشـفيق المؤيد العظم ثم بعبد الحميد الزهـراوي وقد انقطع الحبل به فرفعوه وعلقـوه مرة ثانية بعد أن شـدوا رجليه شـدا قويـا وجـيء بعـده بالأميـر عمر الجزائري ثم شـكري العسـلي ولما جاء دور التنفيـذ بعبـد الوهـاب الانكليـزي امسـك به الجند لشـدة بأسـه ومراسة وقد أمعن هو في اللعن والشـتم، حيال مظالمهم وفظائعهم، ثم جيء بالسـيد رفيق سلوم وانتهوا برشدي الشمعة.

وبحسـب كتـاب " شـهداء الحـرب العالميـة الكبرى " لأدهـم الجندي فقد كان جمال باشـا يشاهد في شرفة بناية احمد عزة العابد التي صادرتها السلطات العسكرية التركية تنفيذ أحكام الإعدام و"حشرجة أرواح فريق من رجالات العرب الذيـن قضـوا مضاجـع الاتحاديين في البرلمان التركي بمواقفهم المشهورة".

وفي الوقت الذي لبست به دمشق و البلاد العربية أثواب الحداد أسـى ولوعة علـى أبنائها انطلق "السـفاح جمال في ذلك اليوم المشـؤوم إلى قرية (الخيارة) في غوطة دمشـق فنقلت ثـلاث عربات بعـض النسـاء إلى هـذه القريـة حيث قضيـن النهـار فـي نشـوة خمـر وغناء ورقـص.. ثـم عـاد الجميع في المسـاء يجولـون فـي الأسـواق حامليـن باقات من الزهر رمزا لذلك الانتصار المشـين بإعدام أحرار العرب ".

ولم يكتف السفاح بأعمال الاغتيال والإعـدام التـي بدأها منذ العـام 1915 وإنمـا تـم أيضـاً تنفيـذ أحـكام النفي بزهـاء ثلاثمائـة أسـرة من خير الأسـر العربيـة فـي سـورية ولبنـان وقـد بدأ ترحيل المنفيين في شـهر نيسان سنة 1916 إلـى الأناضـول حيـث وزعوا في مدنه وقراه بين قونيه وانقره وديار بكر وبروسه وأضنه وسيواس.

من أروع ما قيل في هذه المناسـبة قصيدة الشاعر القروي نقتبس منها:

خيـر المطالـع تسـليم على الشـهدا
أزكـى الصـلاة علـى أرواحهـم أبـدا
فلتنحـن الهـام إجـلالاً وتكرمـــة
لكل حـر عـن الأوطـان مـات فـدا
قـد علقتكـم يـد الجانـي ملطخـة
فقدسـت بكم الأعواد والمســـدا
أكـرم بحبـل غـدا للعـرب رابطـة
وعقـدة وحـدت للعـرب معتقـــدا

ساشا أيوب

عانق أصدقائك بقوة كلما رأيتهم.. واشتم رائحة أكتافهم عند الوداع لتستحضرها أثناء التحقيق.. أو حين تجتمع بأحبتك وتبكي على صديقك الذي استشهد أو سُجن.. فيغمرك مرة أخرى..

راشد عيسى

شرحت مرة لإعلامية سورية، هي اليوم من أشد الموالين للنظام، ماذا تعني تلك الـ "ومن في حكمهم" التي ترد في الإعلانات الرسمية. قلت لها أي أنني كفلسطيني لي كامل حقوق السوريين، عدا حق الانتخاب والترشيح. قالت "لا تخف، نحن أيضاً، كسوريين، لا نمتلك حق الانتخاب والترشيح".. وضحكت تلك الضحكة المجلجلة.

يامن حسن

ترحيل سلامة كيلة ..ترحيل وطن بكامله.. سلامة كيله سوري عربي ... ترحيل سلامة كيلة كما تم ترحيل الحماصنة من حمص وكما هجرنا جميعاً.. فليسقط النظام.

ميلاد صقر

القاعدة اعترفت علناً وباطناً وجابهت العالم لما فجرت برج التجارة بنيويورك وخوفانين من الاعتراف بتفجير سيارة بدمشق على أي قاعدة مبني هالكلام موبان معي.

شام داود

عفكرة....كل صديق فات عالمعتقل وعانى وتعذب وشاف الويل.. كل سوري عرض حياته للخطر وعرفان بخطر الاعتقال.. كل حدا ساعد قدم تظاهر وبسبب الحرية اللي بدنا ياها... إي بدنا ياها غصب عن راس الأسد وعيلتو... شو ما عملو فيكن وأد ما ضغطو وشو ما كنتو مضطرين تفصحو عنه أو تتحملو بأسوأ سجون العالم على الاطلاق..
أنا وكلشي بيخصني وبيتعلق فيي كسورية ووحدة من هالبلد.. فداكن وفدى الثورة.. بحبكن وفخورة فيكن الثورة مستمرة

هالا العبد الله

الخميس يغمر النظام البلاد بالدماء والموت والجمعة تغمرها المظاهرات بالحرية والأمل.

سعاد جروس

رئيس الوزراء عادل سفر بشرنا اليوم وهو يمار واجبه الوطني بـ(الاقتراع) بأن نتائج انتخابات مجلس الشعب ستنتج (تموضعات) سياسية جديدة... عفوا.. يا رئيس الوزراء.. بدك ما تآخذني.. شو يعني (تموضعات)؟... حاكم أنا أنتمي لعامة الشعب الأمي.. ووحده الشعب الأمي خارج المجلس.. يمثلني..

عامر مطر

قبل النوم، كل ليلة... أعدكم يا شركاء الحريّة وسجون الظلم، أن أردد أسماءكم الجميلة.

رفيق حلو

إذا حكينا عن الجيش الحر وعن العمل السلمي. فينا نقول كل واحد له دوره، يعني يد واحدة ما بتصفق ، يعني لازم إيدتين، بس لازم يكونوا بنفس المستوى. إذا في إيد راكبة على إيد، ما عاد أسمه تصفيق، صار تطبيش.

حسان عباس

أسوأ من تعليقات أبواق النظام على التفجيرات، تعليقات بعض وجوه المعارضة. انحنوا أمام الموتى الأبرياء وأمام عذابات أهلهم يا أهل السياسة والإعلام من كل الأطراف. ابتلعوا ألسنتكم، وانسوا للحظة ألاعيبكم وحسابات الخسارة والربح. اصمتوا عسى صمتكم يجنب الناس المزيد من الأحقاد. رحماك يا وطني..

إياد عماشة

سوريا القادمة، علمانية.. تحترم حقي بأن أكره وأحب، أعبد أو لا أعبد، أكفر أو حترق أيماناً.. هي سوريا التي أحلم.

جمال سعيد

منى أسعد أم يارا بدر.. كأنها منتورة لزيارة السجناء بين حين وآخر.. منى المحبة واظبت على زيارة خطيبها أنور عندما سجن للمرة الأولى، ومنى الأم والمحبة واظبت على زيارة زوجها أنور عندما اعتقل للمرة الثانية، وبرفقة ابنتها يارا هذه المرة... ومنى الأم والمحبة تحاول حالياً مع زوجها أنور زيارة ابنتها يارا وزوجها... دائماً منى على الطرف الثاني من شبك الزيارة.. لمنى أسعد المحامية والمحبة والأم والإنسانة.. أحني رأسي.

أحمد صلال

الحراك المدني.. هناك من يخدم السلطة بمحاولة أدلجة فكر الحراك دينياً، الحراك مدني منذ بداياته الأولى وسيبقى هكذا، الحراك يعبر عن موزاييك الشارع السوري بكل أطيافه. كفى تلاعباً بالتسميات نريد جمعاً مدنية لكل السوريين...!

فضيل نوفل

قالت دمشق: شوارعي التي تعفنت منذ سنين الآن... تغسلها الدموع والدماء.

حسين الشيخ

سورية هكذا، أحرار، عاشقون، مخيبو الرجاء، محتارون، قوس قزح ولمعة برق، حب يكاد يتوقف قلبي عنده.

نور الأمين

أغبط الفرنسيين.. آلاف من الأصوات تكفي ليتنحى الرئيس وليست آلافا من الجثث.

تانيا برغلي

شريف شحادة في برلمان (الإصلاح)، كأن هذه السلطة تريد قتل الناس بالرصاص أو بالضحك.

نغم ناعسة

ما هذه الدقيقة الساخنة المميتة: صوت أختي المرتجف وهي تتكلم من بلاد أخرى... ونَفَسُ أمي الذي يدعوني الى الاطمئنان دائما رغم زحام الموت.. وهمس أبي الذي تجاوز الخامسة والستين بأن نصبح على وطن... وأخي الذي يدعوني إلى الحذر الدائم.. وكأن الحذر هو الأمان.
آه يا عائلتي كم دقيقة نحتاج لنشعر بالبرودة.. كم علّمَنا الألم وسيعلّمنا.. شيء مؤسف أن نتعلم من الدماء..

ضحى حسن

لنصمت قليلاً فقط... فأفواهنا تلطخت بالدماء..

رشا عمران

ما من سوري بمنجى من الموت حالياً، لا معارض ولا موالي ولا صامت... الكل ضحايا أو مشاريع ضحايا لبقاء هذه العصابة المغتصبة... المشكلة في من لا يزال يؤمن بأن هذا المعتوه مازال قادرا على حكم سوريا...!!

مهند مختار

الأسد أو نحرق البلد.... عبارة تستحق التفكير بعد كل عملية تفجير.

أمية المقداد

أيها السوري، خذ ما شئت من أشلائي، لكن أرجوك، ابقى كاملاً.. دعنا اليوم نبكي وطناً، لكن أرجوك، لا تنعي وطنا.. دعنا اليوم نخرج لنشيع بعضنا، لكن أرجوك، لا تطلب مني أن أخرج لأشيع.. وطنا.

جول درويش

في وطني يموت من لا يستحق الموت على يد من لا يستحق الحياة.

خاطر ضوا

لا نُريد الموت لأي سوري.. النظام سيرحل ونبقى كلنا للوطن.

حريتنا تلتمع كالغفلة الفادحة وتشتعل ببراكين الرفض..
نحن العبيد الذين يحققون أحلامهم..
نحن اليتامى الذين صقلنا حريتنا بزفير الناس.. وتحصنّا بالدم.. دم خذل النصال وكسر القاتل..
والعالم كله معك أيها القاتل.. العالم كله يرقع هشاشتك ويشطف الدماء التي سفكتها.. العالم كل العالم يحميك ويتعمدك بأكاذيب تزيد الدموع ملوحة..
ويصقل هزيمتك بالمعادن ويمد لك حبل النجاة..
لكنك أغبى وأحقر من أن تنجو..
وإني لأرأف بالموت الذي سيتغمدك...
كم أنت عبء... حتى على الموت..
وكم رقبتك عبء على المشنقة...

لينا عطفة

قلبي مسنود، لا يهمني إن كان ظهرِيَ مكشوفا، أتصرف كأنه غير مكشوف، فلا ينغشّ أحد. قلبي مسنود واللي خايف يجي يسند قلبه، ليس في الكون ما هو أسوأ ممن سندَ ظهره فكشفَ قلبَه. تعلمناها على مرّ الطريق الوعر.. اسندْ قلبك، وسيمكنك ألا تساوم، ألا تجد نفسك في درب تضطر لتبرير وجودك فيه.
حرّية، من القلب، بالعقل، إلى الأبد... ويوم.

عروة نيربية

لي في السجن رفاق
يتوبون كل مساء إلى وسائد الأمل.
ينهشهم الجوع.
يذبلهم العطش.
ويأبون إلا أن يزينوا خصر عمرنا المكسور،
بأسراب العصافير الطليقة.

ياسر خنجر

السؤال والجواب: من حوار حول الثورة السورية مع ياسين الحاج صالح | أسئلة هنادي الخطيب

| هل توقعت من الشباب السوري أنو يقدر يعمل هالثورة، ووقت صارت الثورة حسيت حالك أنك ما بتعرف هالشباب مع أنك صديق الكثيرين من هالجيل؟

| | لم أتوقع الثورة، وأتحفظ جزئيا على نسبتها إلى الشباب. لكني سعيد بأن جميع أصدقائي الشباب وبدون استثناء مشاركون بطريقة أو بأخرى في الثورة، وبعضهم من رموزها. من الوجوه العظيمة للثورة أنها تخرج طاقات مخبوءة عند كثيرين، كان يمكن ألا تظهر، وربما ما كانوا هم أنفسهم يعلمون بكمونها في نفوسهم.

| تجربة مصر اللي كانت نتيجتا صعود نجم الاسلاميين، هل ممكن ناخد مثال وفى حال صار عندا متل مصر وطلعوا الاسلاميين متل ما كتيرين خايفين هل ممكن نصاب بخيبة أمل من ثورتنا؟

| | لا أرى هناك شيئا سيئا ولا مفاجئا في صعود الإسلاميين. هناك نخب وتيارات سياسية وإيديولوجية لا معنى لها في عين الجمهور العام، أما الإسلاميون فلهم معنى معلوم، ولم ينسق تجريبهم سياسيا. والشيء الجيد في صعودهم الحالي هو أنهم يخسرون وضع الضحية والتعاطف الذي يترتب عليه، وتوضع أفعالهم وأقوالهم تحت تفحص الرأي العام. فإذا لم يتحولوا إلى الدكتاتورية، ويبدو لي هذا صعبا، فلن ينالوا النسبة التي نالوها في الانتخابات الأخيرة في مصر. وإذا تحولوا إلى الدكتاتورية، نكون عدنا إلى الصراع من أجل الحرية، مع خسارة الإسلاميين أيضا وضع الضحية.
في سورية أرجح أن يكون الإسلاميون قوة مهمة، لكن أقل وزنا من مما في مصر، ربما أقل حتى مما في تونس. وهذه تطورات ينبغي أن يكون مرحبا بها في تقديري.

| شو موقفك من (الإسلام هو دين رئيس الدولة)؟

| | أنا ضد النص في الدستور على هكذا مبدأ. من وجهة النظر العملية، يرجح كثيرا في أية انتخابات حرة فعلا أن يكون رئيس الدولة مسلما، فلا داعي للنص على مبدأ يولد شعورا بالاغتراب عند قطاعات من الشعب. ومن وجهة النظر المبدئية، يتعارض هذا النص مع مبدأ المواطنة المتساوية التي ينبغي أن ينص عليها الدستور.

| بعد صمت 40 سنة تشكلت لغة جديدة واللي هي «لغة خطاب الشارع» واستقت كلماتها كلها من الاستعانة بالله (يا الله مالنا غيرك) شو رأيك بهالتعابير، وشو موقفك من اللي وقف ضد الثورة لأنها طلعت من الجوامع.

| | تكثف هذه التعابير التجربة الحية لقطاعات واسعة من الجمهور. افتقرت الثورة السورية إلى سند داخلي أو خارجي، فلم يبق لها غير السند العلوي، الإلهي. هذا هو الجذر الواقعي لهذه الشعارات، وهو ما يسبغ عليها المعقولية. إعطني سندا أرضيا، أضمن لك اتكاء غير حصري على السند السماوي.

أشعر بازدراء عميق لمن اعترضوا على الثورة لخروج المتظاهرين من المساجد. أظنهم يبحثون عن ذريعة للاعتراض عليها، ولو خرجت من الجامعات لاخترعوا ذريعة أخرى. وعلى كل حال لهم موقف عدائي سابق من المعارضة، بما فيها أمثالنا. ولهم في ذلك حجج وذرائع تقنعهم.

| سؤال افتراضي: شو رأيك بإمكانية عمل "محاكم أدبية" لكل مثقف وأديب وفنان ونجم وشاعر وقف ضد الثورة وضد الشعب، وإصدار حكم من الشعب مفاده "أنت ساقط شعبياً".

| | أرى أن هذا من الممارسات الفاشية. ومن يحتمل أن يقوموا بهذه المحاكمات هم أشخاص يريدون أن يطابقوا أنفسهم مع الثورة وقيمها، وكسب أسبقية على غيرهم. للناس آراء، ومن حق أي كان أن يعترض على الثورة، ما لم يمارس التحريض أو يدعو إلى القتل.

| انت متفاءل ولا متشاءم.. يعني هل ستنتصر الثورة السورية

| | أنا متفاءل. أواكب الثورة بأدواتي ككاتب، وأعمل على تقدمها.
أرى أن الثورة منذ الآن وأيا يكن مآلها مأثرة عظيمة للشعب السوري. لكن انتصارها وحده هو ما يمكن أن ينصف آلام هذا الشعب أثناء الثورة ذاتها، وقبلها خلال عقود من الحكم الأسدي والبعثي.

الحركات الإسلاميَّة في منظور الخطاب العربي المعاصر

■ ياسر مرزوق

كتابنا اليوم وقد يكون كاتبنا اكتشافاً لطيفٍ من القراء في سوريا، كاتبنا هو "تركي علي الربيعو"، كاتب وباحث سوري ولد في القامشلي عام 1951، درس العلوم في الأصل، ودرّس في مدارس القامشلي، ثم ترك التدريس بعد أواسط التسعينات وجاء إلى دمشق، واحترف الكتابة وتوفي فيها عام 2007. نشر له العديد من المقالات الفكرية في الدوريات العربية " أكثر من ثمانين دراسة فكرية"، ونشر مجموعة من الكتب منها: "الإسلام وملحمة الخلق والأسطورة "1992 "العنف المقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية " 1994، " أزمة الخطاب التقدمي العربي " 1995، "من الطين إلى الحجر" 1997، "خيارات المثقف" 1998، " الإسلام والغرب " 1998، "المحاكمة والإرهاب: عقلية التخوين في الخطاب العربي" 2001، "الأرض اليباب: محاكمة الفكر الأسطوري العربي " 2007، "الأسطورة والسياسة مع الدكتور فاضل الربيعي"، عاين الربيعو قضايا بلاده السياسة باحثاً في بنية العشائر السورية تنظيمياً وسياسياً، كما تعرض لواقع بلاده محللا اتجاهاته وخاصة بعد سقوط بغداد، وله الكثير من الآراء الجريئة في التراث العربي والحركات الإسلامية والخطاب العربي، إضافة إلى أبحاثه في الأساطير والأديان..

بعد مسيرة حافلة بالبحث والتشاكل مع التراث مثقفاً تنويرياً، رحل الكاتب السوري تركي علي الربيعو، حيث شيع في مسقط رأسه بمدينة القامشلي بحضور عدد من المثقفين السوريين. وجاءت وفاة الربيعو الذي لم يتجاوز الرابعة والخمسين بعد معاناة طويلة مع مرض السرطان، وهو القائل: " كان مثقفونا وكتابنا يهربون إلى الأمام كلما جابهتهم مشكلة الواقع الغير قادرين على حله، فأنهم الآن يهربون إلى الخلف، إلى الماضي، إلى أرض السحرة والجان والخرافات والأساطير. "

يتناول كتابنا اليوم مسألة رئيسية لا تزال تشغل الفكر العربي والإسلامي في جانبيه النظري والسياسي هي: علاقة الديني بالسياسي في وعي النخب الفكرية الإسلامية الحديثة والمعاصرة، إذ يحتل صعود الإسلام السياسي منذ أربعة عقود ساحة النضال والسجال السياسي والفكري والإيديولوجي، عربياً وعالمياً. وقد ترافق هذا الصعود مع فشل البرنامج القومي اليساري في التحرر القومي والوحدة والتقدم في أعقاب هزيمة حزيران 1967 وما تلاها من هزائم أمام المشروع الصهيوني والاستعماري الزاحف على المنطقة. وقد ولد هذا الفشل فراغاً عبّر عنه انهيار قوى التقدم والديمقراطية وغياب البرامج البديلة. في ظل هذه الظروف، قدم البرنامج الإسلامي نفسه بديلاً وخلاصاً، فطرح شعار "الإسلام هو الحل"؛ وترتّب على هذا الشعار نشوءُ حركات سياسية متعددة المشرب والهدف. يمثل كتاب تركي علي الربيعو الحركات الإسلامية في منظور الخطاب العربي المعاصر، الصادر عن المركز الثقافي العربي، مساهمة في قراءة التيارات السياسية العربية ونُخبها لدلالة صعود الحركات الإسلامية.

في محور أول، يركز الربيعو على القراءة التاريخية التي قدمها الخطاب التقدمي لظاهرة الحركات الإسلامية، أي جملة الأسباب التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي أسهمت في ظهور الحركات وانتشارها في صفوف الشباب العربي ملاحظاً وجود إجابات متباينة ومتوازية، تتفق في الصدور عن ذات المرجعية، حيث يرجع التفسير السيكولوجي ـ العصبي انتشار الحركات الإسلامية إلى نوع من المرض العصبي، أو كرد فعل سيكولوجي يقوم به الإنسان المقهور على جملة التحديات حسبما يذهب إليه غالي شكري. وتظهر الحركات الإسلامية وفق هذا التفسير بوصفها تعبيراً عن أولية شائعة في حالات الفشل، يلجأ إليها الإنسان المقهور، أو الإنسان العصبي على حدّ تعبير محمد أركون. ويرجع تفسير آخر ظاهرة الحركات الإسلامية إلى انحطاط البورجوازية العربية، وهزيمة حزيران، وتراجع المشروع الوطني.

ويعتبر الربيعو أن التبشيرية الساذجة في أوساط الخطاب التقدمي، التي بشرت بزوال الدين وتجلياته، لم تكن ترتكز إلى تحليل علمي دقيق للواقع، لذلك، وأمام غياب نظرية عربية تقدمية حول الدين، وجد الخطاب التقدمي العربي، نفسه ملزماً بالعودة إلى المثال، لا إلى الواقع والخصوصية. وعليه بقي هذا الخطاب يمنح من الرؤية السلفية للدين التي أذكاها ماركس في مقدمته لنقد الاقتصاد السياسي. كما بقي باستمرار في مواجهة إشكالية مستمرة، تتمثل في فاعلية الدين على الصعيد الجماهيري، وقدرته على تجنيدها في الدفاع عن الأرض والوطن، بحث أصبح الدفاع عن الدين الإسلامي، في تاريخ المنطقة العربية، دفاعاً عن هوية، عن جماعة وأرض.

ويتمحور قول الأستاذ تركي الربيعو حول أن انسداد الآفاق السياسية أمام الشباب المسلم في منطقة الشرق الأوسط مع تنامي ما يسمى بالدولة التسلطية أو الدولة الشمولية، إضافة إلى السياسات الأميركية المعادية للقضايا العربية، يمهد إلى عملية تجييش واسعة في منطقة الشرق الوسط ومحيطها، بحيث تؤدي إلى المزيد من الفاعلية السياسية لهذه القوى الإسلامية وذلك على الرغم من افتقارها إلى مشروع سياسي حقيقي كما يرى شهودها من الداخل.

ثم يتساءل عن مدى ارتباط ظاهرة الإسلام السياسي بالثورة المضادة في مصر، أي بالظاهرة الساداتية، كما يشير إلى ذلك الخطاب التقدمي العربي، في إطار محاولات السادات، لإحداث توازن مع القوى اليسارية والناصرية المضادة لتوجهاته. وعليه كيف ترافق أو توازى، أو تزامن المشروع الإخواني مع سنوات ارتفاع قوس الناصرية وازدهارها، بوصفه أمراً لا يخلو من دلالة طردية. كذلك كيف يمكن تفسير عمومية ظاهرة الإسلام السياسي، وانتشارها في أوساط الشباب العربي، فضلاً عن النوعية الخاصة لهؤلاء الشباب، وهل يمكن تفسيرها على أنها ميل شديد عند هؤلاء الشباب إلى النزعة اللاعقلانية، وكراهيتهم للتفكير المرتكز إلى العقل كما بعض الباحثين العرب؟ مع أن السؤال المحير هو: كيف تحول قادة هذه الحركات، سيد قطب مثلاً، من العقلانية والتنويرية إلى الانغلاق والجمود والقطعية كما يرى الخطاب العربي.....

يركز الكاتب على قراءة الخطاب اليساري لهذه الحركات، الذي شكلت هزيمة حزيران، في نظره، القاعدة الأساسية لظهورها. عبّر عن ذلك انحطاط البرجوازية العربية وتراجع المشروع الوطني وما رافقه من غياب البديل الثوري لقيادة البرجوازية الصغيرة ودخول حركة التحرر الوطني أزمة مستعصية، لا أفق مرئياً للخروج منها. أتى ذلك كله على قاعدة من التقهقر الاجتماعي وانتشار الأمية في العالم العربي، مما زاد من أزمة الإنسان النفسية والعصبية، وهي عوامل تشكل أساساً موضوعياً للتزمت والتمسك بالتقاليد والاندفاع الأكبر إلى أحضان الدين. كما يرى هذا الخطاب أن السلطة الرسمية استخدمت الحركات الإسلامية في صراعها مع القوى التقدمية والمعارضة، مما أعطاها دفعاً وقوة (يمثل استخدام النظام المصري لها أيام أنور السادات أبرز الأمثلة الدالة على ذلك)، ويطلق الخطاب التقدمي، من جانبه، أوصافاً متعددة على الخطاب الإسلامي، متهماً إياه بالانحطاط والشكلية والجمود والرجعية والوعي الزائف.

كما يلقي الضوء على قراءات لعدد من أفراد النخبة المفكرة تناولت ظاهرة الإسلام السياسي، فيختار عدداً منهم اجتهدوا في قراءة ما يتصل منها بخطاب اليسار وما حاول التميز عنه.

عند محمد عابد الجابري أن الإسلام السياسي هو إنتاج هزيمة الراديكاليين العرب، بخطابهم وممثليهم. وهو يحمّل دول النفط مسؤولية في صعودها وتقويتها. وهو يراها، في المقابل، ظاهرة ظرفية لا أفق مستقبلياً لبرنامجها وموقعها.

أما فؤاد زكريا فيقيم تضاداً مطلقاً بين الصحوة الإسلامية والعقل، وبين الحركات الإسلامية والعَلمانية والتعددية السياسية، إذ يرى أن بعض سماتها تقوم على ممارسة العنف وتمجيده، وسيطرة العاطفة، وعدم الاستماع إلى الرأي الآخر، والتشديد على الطاعة المطلقة للقادة، واستخدام القوة ضد معارضيها.

يناقش رضوان السيد، من جانبه، لامعقولية برنامج الإسلام السياسي وممارسته، فيُعيدها إلى لامعقولية الاستبداد السائد في البلدان العربية. فيأس الناس من الحالة القائمة، وليس تخلفهم، هو الذي يفسّر إقبالهم على شعارات الإسلاميين. والأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تمر بها الأمة أعطت هذه الحركات شعبية واسعة. تُضاف إلى ذلك كله الطريقة التي جرى فيها توظيف النصوص الدينية والفقهية بما يخدم "نضالية" هذه الحركات.

ويرى محمد جابر الأنصاري أن صعود الحركات الإسلامية هو نتيجة الاحتجاجات الريفية على عالم المدن وعدم اختراق خطط التنمية المدينية للريف؛ وهو بذلك يربط بين انتشار الخطر الأصولي وفشل خطط التنمية، ويضيف إلى هذا الفشل عجز المشروع الوطني والقومي عن تقديم الحل التاريخي لهذه المجتمعات.

يعتبر نبيل عبد الفتاح أن العنف مكوّن أساسي من مكوّنات بنية الخطاب الإسلامي في شتى فروعه ومناحيه. فمن موقعه المصري-القبطي، يرى أن "الإخوان المسلمين" يختزلون الإسلام السياسي ويقدمون رؤية تقليدية لنموذج "أهل الذمة" بالنسبة إلى الأقباط. لذلك يعزو مشكلات الأقباط كلها إلى تنامي ظاهرة الإسلام السياسي.

في المقابل، يقوم خطاب نصر حامد أبو زيد حول هذه الحركات على خلفية إيديولوجية أساسها التضاد بين المتنور والمتخلف، بين العقلاني والخرافي. فالانتكاسة التي شهدتها حركة النهضة والتنوير العربي ارتدّت صعوداً إلى قوى الخرافة التي وقفت حاجزاً أمام قراءة عقلانية للنصّ الديني. ويعيد أبو زيد، في هذا المجال، تأكيد مقولاته حول كون القرآن نصاً لغوياً، وحول العلاقة الجدلية بين النص والواقع، بوصفها تمثل مفتاحاً لفهم النص القرآني.

تشكل العلاقة بين الدين والسياسة – ومن ضمنها خضوع السياسة للدين – نقطة

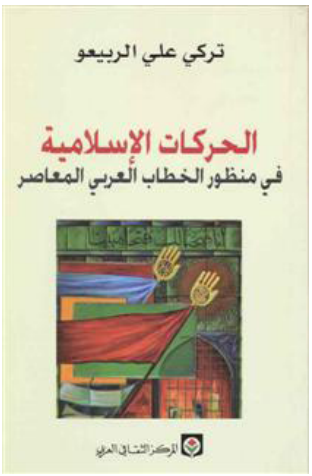

مركزيةً في خطاب الإسلام السياسي. يستعرض الكاتب، في محور ثالث، آراء عدد من المفكرين في هذا المجال.

يرى علي عبد الرازق في كتابه الإسلام وأصول الحكم أن السياسة شأن تدبيري، وليست شأناً عقيدياً، ويذهب بعيداً في تفنيد الرأي القائل بأن "الإسلام دين ودولة"، فيرفض هذه المقولة، معتبراً الخلافة مقاماً دينياً، وأن الإسلام لم يعرف يوماً دمجاً بين الدين والسياسة بقدر ما عرف استخداماً للدين في تبرير قرارات السلطان السياسي.

أما هشام جعيط، فيبدو قلقاً على مستقبل الدين في الدولة العَلمانية الأصولية العربية؛ إذ يعتبر الإسلام دين الأمة، مما يوجب بقاءه ديناً للدولة، بمعنى أن تعترف الدولة به تاريخياً وتَهَبَه حمايةَها وضمانها. في المقابل، يشدد جعيط على رفضه استخدام الدين أداةً في يد الدولة، تتلاعب به لغايات سياسية.

أما برهان غليون، فيعتبر أن ازدياد الطلب على الفكرة الإسلامية في الشارع مع بداية السبعينيات يعود إلى تراجُع الفكرة القومية والعَلمانية التي ارتبطت بالدولة؛ وهو تراجُع طاول مستويات نفسية وعقيدية وسياسية. ويرى أن الإسلام لم يفكر في الدولة، ولا كانت قضية إقامتها من مشاغله، لكن الدولة كانت، من دون شك، أحد منتجاته الجانبية والحتمية.

يرفض راشد الغنوشي الدولة العَلمانية، فينعت نخبتها السياسية بـ"الكهنوت الجديد" الذي يسعى إلى فرض دينه الجديد على المجتمع العربي والإسلامي عنوةً، مشدداً على ضرورة السلطة في الإسلام التي هي في الآن نفسه قيامة الدين.

أما محمد أركون، فيربط تنامي إيديولوجيا الكفاح ضد الإمبريالية بتراجع الدولة العَلمانية؛ وهو ما أدى إلى صعود الحركات الإسلامية الراديكالية التي ذهبت بعيداً في رفع شعار "لا حاكمية إلا لله". يعيد أركون الخلط بين الدنيوي والمقدس، وبين الدين والدولة، إلى خضوع علماء الدين والفقهاء للسلطة السياسية، ليخلص من ذلك إلى دعوة ملحاح إلى فصل الدين عن الدولة.

إن الصخب الذي تثيره الحركات الإسلامية اليوم يجعل مناقشة ممارساتها وبرامجها مهمة ملحّة وضرورية. وأبرز ما يواجه هذه الحركات اندفاعها في نظرية "تكفيرية" للمجتمع والحكم ورجال السلطة. كما تطرح هذه الحركات تحدياً على القوى العقلانية والقوى الدينية المتنورة في مواجهة استغلال هذه الحركات في الصراع السياسي وتوظيف النص الديني في تبرير أعمال العنف والإرهاب.

حكـــاية فريـــق الموتـــى

■ شهادة: هناء
صياغة:علاء آلرش

للبطل وللميت الحكاية.. أما المجهول، فمصيره جثة بلا هوية...

على أبواب الجامعة، تاه (لوستان) في خيارات الدراسة، وغاب. البعض التقط لمحة الحيرة على وجهه، وآخرون ومنهن فتيات، أخبرننا أنه درس الطب، وآخرون قالوا المسرح الهزلي، أو أنه ترك الطب للثانية أو العكس. لكن، أصر (نجيب) على تتبع أخباره. وحين لم يحضر (لوستان) حفل زواجنا، أطلعني (نجيب) على صور عتيقة لشاب بشعر مشعث، أشقر. صورة عتيقة، لا تمتع إلا صاحب الحنين. (لوستان) يبتسم في غالب الصور، طويل، ويرتدي مريولاً أزرق كالشيوعين. (ربما ترك الدين إلى الأبد.. لا استغرب إن درس المسرح الهزلي.. وترك الطب.. حتى ولو فعل العكس)، يقول (نجيب)، وهو يشير إلى صورة تبديهما بجنون مراهقة الفقراء. أما (نجيب)، زوجي، توجه فوراً إلى علوم الدين، واكتفى منها بالتجويد، متعة تكرار السكينة في سور علمه على تلاوتها أبيه.

أنجبت أبناءي الثلاثة، وعند أول الخريف الرابع، وصل (لوستان) لبيتنا للمرة الأولى، انتظرناه قرب فناء الدار، ولمحناه بعيداً، قادماً من ضباب الزمان، خلفه بساتين بلا ثمار، وبرد. كان الجو رمادياً، وعلى ذراعي (لوستان) جسد منسدل، فالجثة بلا هوية، تَخِفُ بغياب الحكاية. كلما اقترب، اتضحت ملامح وجهه من ظلام البعيد، ونقصت دهشتنا، خطوة خطوة. سأل نجيب: (ما هذا ؟)، (جثة مجهولة الهوية) أجاب لوستان. ونصبح المسؤولين عن مصيرها. مرة، ومرة أخرى، وجثة تتلو جثة، وللجثث التي بلا حكايات، أرقاما: 1، 2، 3، وتاريخ وفاة، ولفافة بيضاء ليس إلا.

الموت للمجهول، وللبطل نهاية الاستكشاف.. أما للميت، فالموت بداية المجهول

لم ينم فضول (نجيب) للجثث المجهولة الهوية، كان نوعاً من رفضه السياسي لنضال صديقه (لوستان). وليلة على العشاء ثار، قال: (لن أعرف الميول السياسية لأي جثة.. صديقي لوستان بحاجة للمساعدة. هذا كل شيء)، وكفاه المبرر لاستقبال الموتى غامضو الموت. رفض الاشتراك بالمظاهرات، وحتى استعمال الجامع كمكان تجمع للثائرين. يوم الجمعة، ينهي المجوّد (نجيب) درسه في فناء الجامع، ويتسلل من حلقة طلاب التجويد، يسمعهم من خلفه يتجمعون، يتلهفون، ربما فكر مرة أن أحدهم سيأتيه جثة مجهولة الحكاية، هذا المساء. يحدث نفسه، عائداً إلى المنزل:(التجويد فن.. ولا علاقة بين الحكمة والسياسة)، يكرر(نجيب) لنفسه، عابراً من الجامع إلى آخر الحي الثائر، ومن ثم يساراً إلى حي الزهور، وصولاً إلى المنزل، دون تأثر بالحناجر المتألمة من خلفه: (يا الله مما إلنا غيرك يا لله، يا الله شعب أعزل يا الله). من أذنيه، كقط، يلتقط (نجيب) بحساسية، ذلك الاستعمال الذي لا يرضيه عن " الله ".

للميت قصاصُ الحكاية، وللبطل الخلود.. أما المجهول، من أين يأتيه الثواب ؟

أُحضرُ ثوبَ الكفن الأبيض، أكرر الطقس، أخيطه، أنظفه مرة، ومرة أمام أبناءي الثلاثة. أوضبه دون الجثة، وخيالي يملئ كفناً فارغاً مجهزاً، بوجهٍ لميتٍ، من الصعب التهكن بماضيه. وجهاً ميتاً، ثم وجهاً مرتبكاً، أتخيلهما سيملأن الكفن الأبيض. أتنتقل مع جثة مجهولة إلى العالم الآخر، حرارة يدي ؟ أتشتاق عائلة لميتها، فتستدعيه بالذكريات ؟ فترى كفناً أبيضاً، فيسأله أحبابه: (من اعتنى بك جثة مجهولة؟)، فالرداء الأبيض، سيكون مناسباً، ويجيب الميت أهله: (جثتي المجهولة أعطيتُ رداءاً أبيضاً)، ربما، يفتخر، وهذه خاتمة حكايته.

أطفالي الثلاثة يراقبون عملي، دون قلق عليهم من خيالات الموت. يعبرون الدرج بهدوء نحو القبو المقسم غرفتين؛ غرفتي الصغيرة لتصميم أكفان الموتى، والغرفة الكبيرة حيث الجثث. ويدور في خلدي، شعراً قرأته في مكانٍ ما: ""من سيتردي كفني ؟ ليعمد جثة مجهولة"". وأبنائي يقدرون هذه اللحظات من الحلم، من التأمل العبثي، من التفكير بجثة بلا هوية، كل ذلك قدّره الأطفال في صمتي الطويل، بينما كنت أملئ أكفاني بجثث.

للمجهولين أرقام، كالمطلق، لا مكان لهم بين التفاصيل، والحكاية، والبطولات

الكفن الأبيض ذو الرقم 15 =

الجثة 15 بلا هوية. لكل رقم جثة. الميت 15 كان مبتسماً، لاحظ (لوستان) ذلك وهو داخل، وعبّر بقوة: (يبدو لي. أنه استمتع في لحظاته الأخيرة)، لم يرد (نجيب). واستقبل الجثة، كما غيرها، حتى ربما سهي عن الرقم. الرقم 15، كغيرها من الجثث، لكنها جاءت وحيدة في يوم الاقتحام العسكري للمدينة. توقعنا عدداً كبيراً من الجثث المجهولة ذلك اليوم، وحضرت أنا ثلاثة أو أربعة أكفان. كان الوقت مساءاً حين لم يصلنا إلا الجثة رقم 15 وحدها. لم نكن نعرف ما يجري حقيقة في المدينة، جثة المفاجئة الوحيدة، 15. أهمل (لوستان) الجثة بداية، وكأنه منزعج من قلة العدد. لكن الميت ابتسم ميتاً، أنهى حياته ابتساماً. أنا لم أره، لكن الليلة كاملة لم تمض دون معجزات.

"إنهم يخفون الموتى".. يحرمون الموت من الحكايات، فنجهل البطل...

(إنهم يخفون الجثث، علينا الإتيان بها) صرخ لوستان، بجانب فناء الدار، مترجياً (نجيب) المساعدة. نظر (نجيب) إلى الأرض، ومن ثم إلى المصحف على مسند الأرابيسك.

بعد الجثة ال15، لم تأتي الجثث، رحلت عن بابنا. أحكم الجيش الطوق الأمني في الشوارع، ولأنهم يخفون القتلى، سيدخلون حديقة جديدة في حي الزهور، هناك حيث دفن أهل الحي بعضاً من الجثث المجهولة. (سنذهب معاً.. نجلب بعضاً منها)، كانت تلك رغبة (لوستان)، و(نجيب) رفض، وانتهى الأمر.

ربما من ضغط الذنب، تغير أسلوب (نجيب) بالتلاوة والتجويد. في حنجرته، بحة غجر مع ألم ديني، والأحرف الأخيرة من الكلمات انفلتت من الإيقاع. هكذا، للحرف جرحٌ، بحة من دفين مجهول، غير " الله". قال لوستان: إنه أثر الموتى.. لن تمر حبالك الصوتية حرة من أثر 15 جثة). وقال (نجيب): (من الله). (الله مطلق) كان يصيح (نجيب) على الثوار، وهم يستعملون "الله" للشفقة. (يا الله ما ألنا غيرك يا الله)، يهتفون في جامع الرحمن، هناك الأئمة والفقهاء، وخطيب الجامع، يكررون: (يا نجيب... في تجويدك خروجٌ على التقاليد، على إرث الآباء، وعلم التجويد)، وتركوه وحيداً تحت رفرفة حمام القبب. هناك، على إيقاع الهديل، فكر: (وللموت حكمة المطلق)، ووافق على رحلة إنقاذ جثث الحديقة مع (لوستان).

الجثة 15... الأحياء يحلمون بالموتى، فيهبون المجهولين صفاتاً...

خفيةً، تسرب أبناءِ الثلاثة إلى الممرات، وأخبرونا عن أنهم سمعوا قهقهةً عاليةً من غرفة الموتى. (نجيب) التزم الصمت حيال الجثة 15... "توهم الأطفال ربما، وأعطوا للميت صوتاً من أشياء المنزل"، فكرنا. لم يكن خوفاً، بل فضولاً للمجهول، خفنا.

ليلتها حلمت، حلمت بوجه أخضر غامق كالميت غرقاً، وابتسامة ثابتة على الشفاه مع سخرية الموتى. على شكل تمثال نصفي، هكذا ظهر لي أحدهم في الحلم، بجزئه الأعلى كتماثيل سقراط التي يتدربها مبتدئو الفنون الأوربية.

كان الصباح حاد الشروق، والجثة 15 ستدفن في مقبرة (التسنيم)، ظهر اليوم. وصل (لوستان)، طلب من كلينا التوصل إلى حل، لقد رأى البارحة في الحلم وجه الجثة 15، قال (لوستان): (فقط الوجه. وكان يبتسم في الحلم.. أنا قادمٌ للتو من هذا الحلم الثابت، حلم بوجه الجثة 15). شرح ذلك، متحمساً، وجلس على مقعد الكنبة. كان الأطفال يخرجون إلى يومهم قرب فناء الدار، و(نجيب) عائداً من الجامع بعد التجويد.

(من خلف وجه الجثة، لا شيء، فالحلم لم يكن يحوي الكثير من الأشياء. أو إن للحلم هدفاً واحداً، لا أحداث، لا انتقالات غرائبية في الزمان والمكان)، قال (لوستان). فقلت: (هكذا كان حلمي). ثلاثتنا، في يوم اجتياح المدينة العسكري، حلمنا بوجه أخضر غامق مبتسم، وجه الجثة رقم 15 صامت.

موت الإنسان حكايته... "ولهم في الحياة قصاصٌ يا أولي الألباب"...

منعوّه من التجويد، وخسر فناء الجامع الرحماني، لوناً مختلفاً من التجويد مع الموت مجبول. رحل مع (لوستان) إلى الحديقة، ليلاً، متنصلين دخلا. عليهما إنقاذ ما استطاعوا من جثث، جثةٍ، جثتين، والبحة في الحلق خجلاً من قدسية الأموات. من الخوف، صدح (نجيب) بالتجويد، و(لوستان) اطمئن. سكنت نفس (لوستان)، ونبش التراب وهو يحلم: "كيف للجثة أن تكون بلا حكاية ؟". وأحرف الآيات من حنجرة (نجيب) تخفف وطأة الليل المطلق.

كلما علا (نجيب) التجويد، ارتاحت أصابع لوستان في لمس الميت. أنا من منزلي لم أكن أسمع، بل أحلم، أحلم بلحظة حيث (نجيب) يجوّد، و(لوستان) ينبش إيقاع التراب. (علينا أن نفعل بهم كما فعلنا مع الجثة 15)، يقول لوستان، ويكرر (نجيب) آية 179: (ولكم في الحياة قصاصٌ يا أولي الألباب)، من سورة البقرة. هل بأت للوستان الأصابع في البداية ؟ رمل العينين ؟ كفن أبيض ما ؟ صدرٌ أم نهد وحيد ؟ مهما كان، كنا سنكرر ما فعلناه، مع الجثة 15.

بالحكاية، يعود الميت من المجهول، وبالصفات نعرف الأبطال...

ألبسناه الكفن الأبيض، وكيساً بلاستيكياً عليه رقمه، وتاريخ دفنه: يوم دخول العسكر، ودمار المدينة في أيلول. في وجه (لوستان) بدأ الحنين، إلى ميتٍ حلم به ثلاثتنا، فقال:(ربما يمكننا أن نكتب كلمة زيادة.. مثل مثلاً أيا شي. الميت الباسم). ودخلنا في متاهة الصفات.

أضفنا كلمتين بخطٍ صغير أزرق: (الميت الباسم). وحكمنا علىً حكاية موت الجثة، والجثة 15 لم تكن وحدها تشتهي حكاية، ووصفاً. كذلك، تلك الجثث التي جلبت من الحديقة، تحتاج كلٍ منها صفةً: (الميت الوسيم، الميت المعذّب)، والصفات غوايات، وحكايات. فكرنا أنساعد أهل المجهولين من الجثث بالتعرف على موتاهم بالصفات ؟: (كان ابنك باسماً ؟ آه.. إذا ربما كان الجثة رقم 15، وكذلك ال 18 مات باسماً)، يرضى الأهل بالموتى، ويترحمون، فتسخن الجثث محبة.

البطل يركب المجهول نحو الموت.. علينا إظهاره...

الذنب أم متعة معارضة الفقهاء، أخيراً، ما كان دافع (نجيب) ليؤلف لحناً ؟ قال (لوستان) وهو يشرب الشاي، ويضرب بالملعقة على الحديد: (من تجربة الموتى.. تحوّل نجيب من مجوّد لملحن)، وبكيتُ أنا. كان هاتفاً عن الحرية، لحنين بسيطين عن مريض يحتاجُ الدواء، فتنعشهُ الحرية. رُددتُ اللحن في سرّي، ولم يعجب (لوستان). لكننا رددناه ونحن نؤلف صفاتٍ للموتى: (الجثة النحيلة، الجثة الهزيلة، والميت الحالم)، يا محلا حرية الأسماء. وحين نحار الصفات، نحلم بالموتى.

أما العسكر كانوا يتجهون لقرية (المسطومة)، شمالي المدينة، ومن هناك سمعنا بالمجازر، عائلات كاملة، ماتت بلا قصص. الناجون أكدّوا الأخبار، جثث بلا أرقام، ولا تواريخ، فأصرّ (لوستان) على الذهاب هناك: (فريق الموتى يجب أن يذهب إلى هناك.. إلى قرية المسطومة)، قال مازحاً، ليخفف هوّل الرحلة. وافق (نجيب)، ورددت في سريّ لحن الحرية البدائي.

المجهول، نصر الموت على الميت... والحكاية، أملُ الأبطال...

لم يجتاح العسكر على أي من أحلامنا، بل على قرية (المسطومة) الشمالية. وفي اليوم الثالث، كان فريق الموتى قد وصل، وبدلاً من تجويد سورة البقرة، ربما غنى (لوستان ونجيب) لحن الحرية معاً. طوروا اللحن. وأعاد العسكر الكرة، دخلوا القرية مرةً أخرى عند الصباح، وعوائل خمسة فقدت أبناءها. انقطعت أخبار (لوستان ونجيب)، وفي اليوم الثالث من نفس الشهر الخريفي، عاد (لوستان) وحيداً حياً. كنت عند فناء الدار، وحدي هذه المرة، انتظره، مثلما أتانا في المرة الأولى. بان من برد الرمادي، وغموض الضباب. اقترب، وهمس لأذني: (جثة نجيب، جثة بلا حنجرة). قطع العسكر حنجرته، وضاعت هناك، على أرض (المسطومة)، بلا حكاية، بلا صوت.. حنجرة من جثة معروفة.

كنا كلما احترنا، ثلاثتنا، (فريق الموتى)، بتسمية ميتٍ ما أو وصفٌ لجثةٍ مجهولة، حلمنا. تُصحح لنا الجثةُ ابتسامتها في الحلم، أو كآبتها، بعيونٍ ثابتةٍ من العتب أو السعادة، مع خلفيةٍ سوداء. (الجثة اللاهية، الجثة العابسة، والجثة العرجاء)، وكل منا يوثق للآخر حلمه، بحكاية زيارة الموتى لحلمه، وتتراكم صفات القتلى، جثة رقم 25، جثة رقم 26، حنجرة 30، يد 12، وجه بلا حكاية، أقدام، وحناجر، حناجر.

اللوحات من الكاتب

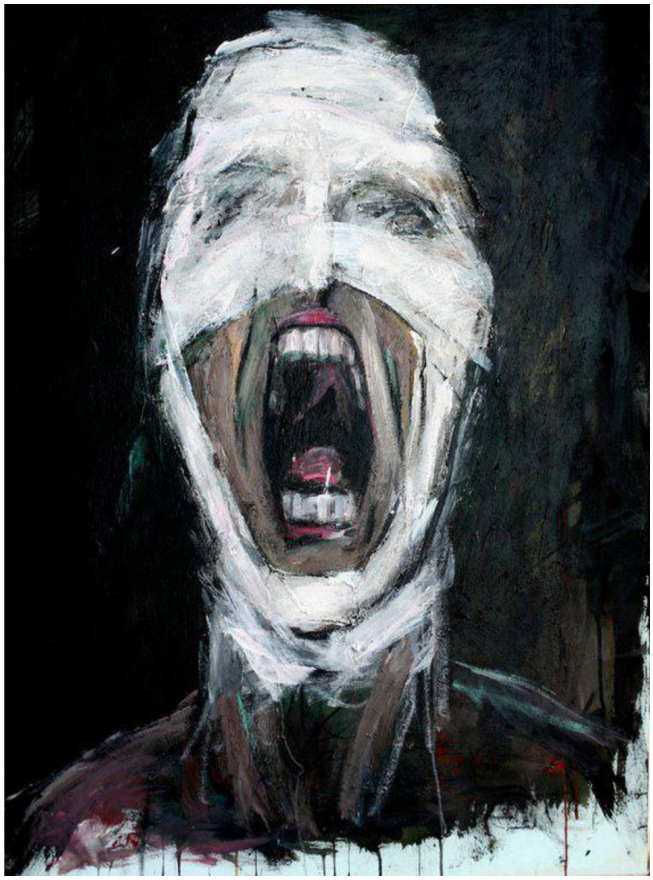

مستشفى ميداني

(إلى سعيد علي وتيسير كريّم)

■ جولان حاجي

«أي مستشفى ميداني يا رجل! كان القطن في يدي هو القطن الذي يحشون به آذان الموتى وأنوفهم وأفواههم، وأنا وحدي الطبيب والممرض. ما تتخيله مستشفى كان مجرد غرفة صغيرة ذكرتني بمطبخ بيتنا الذي بعناه لتسديد الديون. في ذاك المطبخ سُجّي أبي، قبل أن يأتي صديقه ليغسله ويكفنه».

قال دلكش، الطبيب الذي انقطعت أخباره عني أشهراً، ثم سكت وأشعل سيجارة غولواز أزرق، مميلاً رأسه بصلعته الخفيفة ومتقيا بكفه الريح في باحة مقهى الكمال. لوحت له عند وصوله أمام باب المقهى. مشى مسرعاً ورشيقاً بخطوات واسعة بين الطاولات، وقال فور جلوسه:

«هل رأيت ما جرى؟ أخذوا رجلاً من داخل المقهى، وحشروه على عجل في تكسي سابا».

إنه يسبقني دائماً إلى رؤية ما كان ينبغي أن أنتبه إليه. أناقته متقلبة الأحوال، يبدو كالمتشرد أياماً، ونظيفاً أنيقاً ليوم واحد. سكبت بضع قطرات من الماء في المنفضة المتسخة وقلت:

«لم يفرجوا عن تارين بعد. ستنتظر أمه عفواً في عيد آخر. المهم أن مكانه معلوم، سجن عدرا لا بأس به. هل أنت جائع؟»

«العفو ومكرمات العيد ومنح نصف الراتب واللعنة! لم آكل شيئاً منذ الصباح ولم أخلع حذائي. قدماي تكلمانني كما يقول الحلاقون. تأخرت عن الفطور في المواساة، ولا أتناوله عادة. وغداء اليوم لا يؤكل، غثت نفسي فور رؤية قطع اللحم نصف النيء تسبح في المرق. وفوق ذلك، الطباخ يطالب بالقسيمة. هذه هي الأوامر الجديدة. هناك طلبة جامعة يتسللون ليأكلوا في مطعم الأطباء».

بدا حديثنا عادياً. لم نخفض أصواتنا ولا غيرنا الموضوع ولا صمتنا حين اقترب النادل. طلبنا كأسين كبيرين من الشاي الخمير. على هذه الكراسي البلاستيك نفسها استجوبوا بعضاً من الشبان الذين اعتصموا أمام السفارة الليبية في شباط. وهنا أيضاً التمّ الذين هربوا من مؤتمر سميراميس. كنا نراهم ونحن نأكل سندويشات من فلافل المعرض على الرصيف.

«لم أنم جيداً خلال الليلتين الفائتتين. منذ يومين، كنت قد عدت للتو من مناوبة خصوصية، فخلعت ملابسي لأستحم فوراً وأنام بضع ساعات. أحرقت رغوة الصابون عيني حين قرع الباب ورن الجرس معاً. ترددت قليلاً. ثم تمهلت في ارتداء بيجامتي قبل أن أفتح الباب، والأجوبة الجاهزة تدور في رأسي، أستمدها مما سمعته عن تحقيقات الأمن. بطاقة النقابة التي لم أسدد رسومها لن تحميني، لن تأتيني بأية حصانة أو احترام. الطب تهمة. تصور التهم في الملفات: تجبير كسر أو تكييف المتظاهرين برش الماء على رؤوسهم في رمضان. احزر من كانوا زوار آخر الليل؟ كان جاراً جاء بابنه الصغير من أجل حقنة بنسلين. قال: «عفواً دكتور، أزعجناك». كان عائداً من عيادة أنور طبيب الأسنان، فاغتنم الفرصة. أنور يفتح عيادته بعد الثامنة مساء، لأن زبائنه عمال البناء معظمهم فقراء لا يجدون وقتاً خلال النهار، كما أن آلام الأسنان تباغتهم في الليل. رأيت عيادته. كلهم يدخنون، الطبيب بسبب مرضه النادر، التهاب الكولون القرحي، والمرضى مقتنعون بأن السجائر تخفف من أوجاع الأسنان أيضاً، والعيادة تغص بالدخان أكثر من أي مقهى. جلسة استحضار أرواح».

وأشار بيده دون أن يلتفت إلى صالة المقهى وراءه.

«على أية حال، كان الأب راجعاً ومعه طفله المريض، لمح آرمتي المضحكة فتذكرني وعاونه ابنه في قرع الباب. لم أغضب حين رأيته، بل ارتحت وكتمت تنهيدة ارتياحي. لم يبكِ الطفل، وقال والده «ما شاء الله، يدك كالريشة». ثم وضع على الطاولة خمساً وعشرين ليرة خمس قطع، قبل أن يعيد قطعة منها إلى جيبه. أعدت الباقي إلى جيب الطفل وصفعت مؤخرته صفعة خفيفة مثل ابتسامتي. أنور أحد أسباب أرقي».

كنت قد رتبت قائمة بمستلزمات طبية سئلت عنها، كتبتها بقلم رصاص على الورقة الأخيرة من كتاب مستعمل اشتريته من تحت جسر الرئيس. متململاً في جلسته، حدثني دلكش دون أن أسأله:

«لا يزال أسفل ظهري يؤلمني أحياناً. الربيع الماضي، حين انفجرت قنابل مسمارية في مسجد داريا كنت مختبئاً في أحد منازلها، أشرب شاياً وأدخن وأنتظر وصول الجرحى. كل ما أتذكره من هذه البلدة هو الكراسي التي اشتراها أحد أصدقائنا من أجل عيادته في جبل الرز، كان قد تعرف إلى نجار موبيليا هناك بعد أن ساعده في التسريع بإجراء عمليته. حين سمعت زخات الرصاص وصراخ الناس وتكبيراتهم، جاء صاحب البيت واستعجلني لنخرج على الفور. كان هناك أناس كثيرون ولا أعرف أياً منهم على الإطلاق. دخلتُ بيوتاً لا أعرف أحداً من أهلها، وكانت فقيرة مثل البيوت التي لا أزال أتنقل بينها. كان هناك جريح يركض معنا وكيس السيروم معلق إلى ذراعه. أشار أحدهم بالقفز عن جدار عال قليلاً في شارع فرعي، اختصاراً للمسافة وتضليلاً للأمن. سقطت على الطرف الآخر وصرخت وكأن عصعصي قد تهشم. سيخ ساخن نفذ إلى دماغي وأوشك يوقف قلبي. فتحت باب الدار وواصلت الركض. لا أعلم ماذا جرى للفتى الذي أصيبت عينه. كارثة إذا أصيبت عينه بالتهاب العين الوبي. لثوانٍ كنت أرى محجره فارغاً وعينه الأخرى جاحظة مهددة بالاقتلاع وتنزُّ قيحاً.

«الجريح الذي كان ينتظرني في منزل آخر لم يكن من أهالي داريا. قالوا لي إن الحارة آمنة، فالوشاة محتملون في كل مكان وفي أية لحظة. كانت هناك جراح عديدة في وجه محمد ورأسه، اضطررت إلى خياطتها دون تخدير لأن أمبولات الليدوكائين انكسرت في حقيبتي هذه، حين قفزت وسقطت. كان الشاب يكتم صرخاته في منشفة يعضُّها مثل امرأة تضع مولودها الأول، وعرقه يسيل ويصب في مخدة وسخة وشرشف مقلم بخطوط رفيعة ملونة مثل الشراشف التي تشتريها أمي. أنت تعرفها بالطبع. لم يشكّ الشاب بكفاءتي وخفة يدي، فالألم ألهاه عن كل شيء. حاولت أن أخيط الجرح خياطة تجميلية لا تترك أية ندبة. كنت مستعجلاً، حاولت أن أتمهل لكيلا أتعرق ولا أنسى القواعد الأساسية في تدبير مثل هذه الحالات. في تلك الفوضى تحدث أحد الحاضرين عن الكزاز. لا بد أنه قد سمع به كثيراً لفرط ما تحدثوا عن الحاجة إلى مصل الكزاز وأكياس الدم. عاد الشخص نفسه وكرر رجاءه أن أعطي المصاب إبرة كزاز. «والله ليست مغشوشة. الإبرة أصلية». لم أجبه ولم أشرح شيئاً. لم يكن هناك من معنى للكمامة التي وضعتها في تلك الغرفة. حين بدأت بالتضميد ظن الشاب أنني سأنتهي بتكفينه كمومياء، وكأنني سأظل أضمده وألفه بالشاش إلى أن أنتهي عند قدميه. كان الملتمُّون الذين لا يعرفونه مثلي يتعجبون من جلد هذا الشاب النحيل وتحمّله، وفي استلقائه على إسفنجة رقيقة يسندونه بالابتسامات والأدعية والشتائم. الضماد المبقع باليود والدم أبقى لعينه فرجة ضيقة كان يرى منها الصبار حين زرته النهار التالي في حي الإخلاص. هل ستأتي معي إلى هناك؟ سأعوده بعد قليل. نحن أصدقاء الآن.

«أنا من سيسدد. لن نتشاجر هذه المرة. لست مفلساً. استلمت مبلغاً عن المناوبة. عدت إلى المناوبات الليلية في المستشفيات الخاصة بعد أن تركت العمل مندوباً في شركة الأدوية». ثم أردف بعد انصراف النادل، «أستلم النقود وهي تطقطق، ثم تتجعد محشورة في جيبي؛ هذه اللامبالاة ستعود علي بالنحس، وأبداً لن أصبح ذا مال في حياتي كما تنبأت أمي. إنها تفتش جيوبي خلسة في كل رحلة أزور فيها البيت، وأحياناً تدس لي مبلغاً صغيراً لا أدري من أين تأتي به».

ظللنا جالسين. دخن سيجارة أخرى مستمعاً إلي، ولم ترق له عبارة ارتجلتها ولا أدري من أين حلت على البلاغة في تلك اللحظة: «صارت لنا صداقات جديدة. كانت جراح الناس أبوابنا إلى معرفتهم ومحبتهم».

تداركت الأمر قبل أن يسخر مني: «أخبرتك أنني كنت أدوخ وأتقيأ إذا سمعت الأعيرة النارية في الأعراس. الآن أعرف أسماء العديد من الأسلحة الخفيفة. أيام

سولفرينو 8 ايار 2012 دقيقة صمت لمتطوعي الصليب الاحمر الايطالي على ارواح شهداء الهلال الاحمر السوري د عبد الرزاق جبيرو وحكم السباعي ومحمد الخضراء

المعسكرات كنا نضع جزرة في فوهة الكلاشينكوف حين نعيد فكها وتركيبها، ونضحك ونحن نرفعها كما ترفع المشاعل في مسيرات الشبيبة الحقيرة. الرصاصة الوحيدة التي أطلقتها في حياتي كانت من مسدس أبي، مسدس ماكاروف انتحر به صديقه في منزل مستأجر هربا من الديون. كان أبي يحب اهتمامي بتزييت المسدس وترتيب الرصاصات، كنت أزنها بكفي وأحب ثقلها ولمعان أغلفتها والدوائر الحمر أسفلها. مرة سرقت إحدى رصاصاته، وضعتها في نار أوقدتها بالقرب من مزبلة نهر الخنزير، وابتعدت لأراقبها متوهماً أنها ستحمرُ قبل أن تنفجر، بينما رفاقي منهمكون بتذويب أكياس النايلون في قوارير شراب السعال الفارغة، تلك اللعبة مثال عن ولع الأكراد بالنار. اقتربوا حين ناديتهم وانتظروا معي أن تنفجر الطلقة. طال انتظارنا وما عاد أي منا يجرؤ على التحرك حتى تأكدنا من انطفاء النار الصغيرة. عندها ركضنا جميعاً دون أن نسمع شيئاً.

«أخذني أبي معه إلى التلال ليعلمني كيف أهتدي إلى الكمأ. لاحظ أنني لاحظتُ مسدسه. عند عودتنا إلى البيت، أوقف بيك آب التويوتا على طريق ترابي بعيد قليلاً عن الحدود التركية. نزلت معه، ودعاني إلى جواره فقرفصت مثله وناولني المسدس. فرحت بثقله بين يدي الضعيفتين. سددت على تنكة صغيرة ملقاة على الضفة الأخرى وتردد صدى الطلقة في البراري مخيفاً وساحراً. لم يرد الجنود حرس الحدود الأتراك بشيء. كان صديقي في المدرسة الإعدادية يتناول معهم الجبنة والبندورة على سكة القطار، فمعظمهم أكراد ويتحدثون لهجتنا. ذات مرة كانت الدورية قد تغيرت. أطلق جندي النار عليه، ثم احترق القش المتبقي في حقول القمح المحصودة فتفحمت جثته مع بضعة أغنام كان يرعاها، ولم ينج حماره أيضاً».

ذهبنا بالسرفيس إلى نفق الآداب ثم أكملنا الطريق الموحش مشياً. لم يهطل المطر المنتظر ليهمد غباراً كثيراً في الهواء حجب قاسيون عن الأنظار. كان دكان السمان مقفلاً فلم يشترِ دلكش أي شيء لصغار العائلة، توفي الأب منذ سنوات، ومعيلها محمد دهّان لم يُشفَ بعد ولم يكمل دراسة الحقوق في التعليم المفتوح.

كان الزقاق مدروزاً بالأبواب، وبيت محمد مثل حفرة محاطة ببيوت كثيرة متماثلة. كان البيت هادئاً، والهمسات تدور بين الأفواه والأطفال مطيعين والتلفزيون مطفأ. على الأرض قبالة السخان المتوهج كان طبق موز وتفاح ربما جلبها الجيران، هذا إن كانوا قد تجرؤوا على الزيارة. حين رحبت بنا الأم التي فتحت الباب الحديد هامسة: «أهلا دكتور أهلا»، بكت الطفلة وهي تختبئ وراء أمها تتحاشى النظر إلينا. لم تكن قد هددناها بأية حقنة. سمعنا صرخة من الغرفة العلوية لتخرس الطفلة، وأشارت الأم بإصبعها «فوق». «هذا هيجان المؤرقين»، قال صديقي. «هائج محروم من النوم، ولم أستطع تأمين أية مهدئات، ذلك صعب في الشام».

كانت لمحمد الغرفة الأفضل في البيت، لكن إطلالتها على البساتين تفاقم غثيانه، فالروائح القادمة من مساكب البندورة والفليفلة تفوح عفنا. تابعت الأم «حين سمعنا صراخه فجر الأمس ظننا ه يسلم الروح. أرجوك. جد له حلاً. الوضع لا يطاق». كانت الطفلة قد اختفت وسكتت في غرفة أخرى، وفي الصمت الوجيز سمعنا ذبابة كبيرة ترتطم بالنيون. لم يكن البرد قد اشتد بعد. هذه المرة لم نضطر إلى قياس ضغط رتل من الكهول الفضوليين الجالسين على الأرض، لينتفخ رأسي مع كل ضغطة على المنفاخ. ولم يحرجنا أحد بالاستفسار عن مبلغ المعاينة وكم نريد. لم يأت أحد بتحاليل وصور شعاعية نرفعها أمام المصابيح لنؤكد التشخيص المعروف مسبقاً. في نهاية الدرج الواطئ الذي صعدناه كانت هناك أريكة مغبرة قرب أصص الورد.

استقبلنا محمد في ضوء غرفته الخافت الكئيب. جلسنا على الأرض.

«لا تقلق. أنا رائق اليوم. بقيت حياً وأبدو معافى، ولكن لا أحد يرى الألم. الألم كافر. أحياناً أنتظر ما سميته النسمة، فأعلم باقتراب الساعة، ساعة الدوار اللعين الذي لا يزال ينتابني. أدوخ فور النهوض أو الاستلقاء، وأوشك أن أستفرغ أحياناً. المصيبة أن يظنك البعض تمثل أو تدعي. أنزوي وأستسلم وأنتظر أن يزول الألم، ولا أنام ولا أطيق أن يراني أحد في هذه الحالة. لا أطيق أي صوت وأكره صراخي إذا علا أي صوت. هل سبق أن قرأت القرآن وأنت تتألم؟ إلى متى سيرافقني هذا الألم؟ مدى الحياة؟» أشار إلى صدغه، وكأن سبابة أخرى تهدده بفوهة مسدس لامرئي.

«كأنني أرى المحقق أمامي أحياناً فأغلي وأغلي وأخنقه. أحياناً أتمنى لو كان ألمي معدياً ليصيب جميع من عذبوني. صار النوم أمنيتي الأعز، وهذا الطنين اللعين لا يتوقف، كأن شاحنة قاطرة ومقطورة تعبر بين أذني ذهاباً وإياباً. تمزق غشاء الطبل في أذني أثناء خدمة الجيش. خلال تطعيم المعركة، انبطحت ونسيت أن أفتح فمي عند إطلاق قذيفة المدفعية كما نسي الملازم أن يعطينا الإشارة. وعلى الفور سمعت هواء ناعماً يتسرب من أذني مثل قطار يتوقف في محطة بعيدة. ظلت تلك القذيفة تصفر داخل رأسي وقتاً طويلاً».

«أنت في نقاهة الآن. ستتكيف وتنسى. اصبر».

«أية نقاهة! وأي تكيف وأي نسيان! أنا مجرد نقطة صغيرة في هذه المأساة. التجسن بطيء جداً، ولا أدري إن كنت أتحسن حقاً. حالتي لا تقتضي الإقامة في مستشفى. أحمد ربي. كانوا سيقيدون قدمي بقفل إلى قوائم السرير مثلما فعلوا مع كثيرين. لكنني كلما تذكرت لون دمي ارتفعت حرارتي. استغربت كيف يجري دم غامق كالفحم في عروقي وأنا، كما تعلم، لا أدخن».

أوقفه عن الحديث قرع خفيف على باب الغرفة. كان إبريق الشاي وثلاث كؤوس تلمع على العتبة بين يدي أخيه الصغير. نسي دلكش أن ينفخ على الشاي، جرياً على عادته القديمة، فأحرقت الرشفة الأولى لسانه، وقال: «أكمل».

«على أن أتحمل نفسي كما أتحمل كل شيء، الثرثرات وهذا البؤس والفقر. لا أطيق أن تقبلني أمي، لا أطيق هذا الحنان أمام الناس. وهل بي شهية لكي تحدثني عن الحمية؟ تذكرني بمصابين حالتهم أسوأ من حالتي، زارتهم وواستهم طبعاً. يسعلون ويختنقون ويبصقون دماً. بربك، أهكذا ترفع المعنويات؟ بأن تسميني بطلاً وشجاعاً؟ ينقصني أن تذكرني بالزواج وهي تحمد الله على كل مكروه. البعض يحسبون المستلقي والساكت مرتاحاً. هذا إنهاك وليس تهرباً، وعجزي يشعرني بالتفاهة. أحياناً أمد رأسي من باب هذه الغرفة وأختلس النظر إلى المرآة فوق المغسلة لأتأكد من أنني ما شبت وما شخت».

«حين اعتقلت لاحقاً في مظاهرة الميدان، كان شعري قد طال قليلاً وأخفى ندوب رأسي الأولى. جروني إلى الباص الأخضر الخالي واستفردوا بي. لا أتذكر عدد الذين انهالوا علي بالركلات والصفعات، وأنا أحاول أن أحمي وجهي. بعيني هاتين رأيت المساعد ينزل من الباص ويسدد النار على ما تبقى من المظاهرة. أعتقد أنني غبت عن الوعي بسبب ضربة من عقب مسدسه. استكملوا الضرب على أدراج الفرع وفي ممراته. كنت أنهض فأترنح وأتهاوى، وتلك الضربات لا تتوقف ولا تنتهي. خوفي الأكبر هو أن يعتقلوني وأنا جريح، فأخرج، إن خرجت حياً، معاقاً أو مشوهاً. لا أبالي بالموت ولا أخشاه، أما الإعاقة فأمر لا يمكنني تصوره. تخيل أن تضع أمي المبولة تحتي أو تنظفني وتحممني مثل طفل رضيع، أو يدفعني أخي الصغير على كرسي متحرك».

كان كمن يتحدث عن ذكريات وهواجس ظل يتأملها طويلاً في صمته، ثم أعاد رواياتها على مسامعي. ارتفع آذان العشاء في جامع الحي حين استأذناه بالانصراف بعد فحصه عصبياً. «المسكنات مرة أخرى؟» سألنا، فهززنا أنا ودلكش رأسينا في نفس اللحظة. كانت عينات من الأدوية المجانية موضوعة في علب أخرى، ودلكش لا يعرف كيف تأتي التبرعات والإغاثات وكيف توزع، ولا يخوض أي موضوع يتعلق بالنقود.

ظلت الجملة الأولى والأخيرة التي قلتها وأنا أصافح محمد: «انجُ الآن ثم انتصر لاحقاً» تتردد في رأسي وتقلقني. بدا صوتي هامساً متهدجاً، وكأنني تفوهت بحماقة مشينة وأسأت التعبير. فقلت ما لست مقتنعاً به. لم يقطع صمتنا في الزقاق إلا رنين جوال دلكش. الرنة لم تتغير، أغنية شفان برور عن الفرات. «هذه أمي واتصالات الاطمئنان المسائية»، قال ضاحكاً. «لم أغير رقمي. أحياناً أستخدم رقماً آخر لشخص أجنبي لا أعرفه غادر الشام منذ أشهر. ما عدت أجرؤ على إغلاق هاتفي أو التأخر في الرد. أمي على الأقل قد تحسبني معتقلاً».

جريدة المستقبل اللبنانية
ملحق نوافذ 29 / 4 / 2012

للوطن عينان

■ سعاد يوسف
ليلى السمان

عمل بعنوان الضمة لحسين خزام

"نسيت... عينه اليمنى"... كانت أول جملةٍ يقولها لي نضال منذ ساعات وذلك أثناء صعودنا الدرج دون أن يلتفت إليّ... "يبدو أن عبد الله قد تأقلم مع إصابته بسرعة"... لم يترك لي وقتاً لأسأل... "هذا هو المنزل" دق البابَ.. في تلك اللحظة ظهرت سيدةٌ في الخمسين من العمر، رحبت بنا بحرارة مشيرةً بيدها نحو غرفة الجلوس لندخل.. لحظات وانضم إلينا "عبد الله"... مد يده ليصافحني ناظراً مباشرة في عيني، عندها رأيت وجهاً لن أنساه ما حييت... وجه طفولي لرجل عرف حبل الخلاص الواصل بين الموت والحياة، فصار الألم جزءاً من عادةٍ كان يخشاها، ونشوة تستعيدها ذاكرته، فترك لها عيناً علها تحفظ الموتى من شره النسيان واكتفى بواحدة تحفظ له ما تبقى من حياة. واحدة تشبه كل العيون، وأخرى اتحدت فيها جميع ألوان الطيف لتتركها بيضاء خالية من أي لون آخر... لم يمنعني انشغالي ببياض عينه عن ملاحظة آثار الندوب على وجهه ويده وجزء من قدمه...

تعارفنا وتبادلنا بضعة أحاديث... أخرجتُ جهاز التسجيل وبدأ "عبد الله" يروي لي حكايته...

"أتينا من حي القصور، وهو حي هادئ نسبياً مقارنة بأحياء أخرى في مدينة حمص. لكن في ذلك الأسبوع بالذات كان النظام يشن علينا حملة لم يسبق له القيام بها، ربما بسبب وجود أعداد كبيرة من اللاجئين الذين نزحوا من المناطق الأكثر توتراً في المدينة... في اليوم السابق ليوم الحادثة كان القصف عنيفاً جداً، لزمنا بيوتنا طوال الوقت، وفي اليوم التالي لم أعد أستطيع الاحتمال، قررت النزول لأساعد في نقل الجرحى والمصابين... كنا نعمل دون توقف... عندما تهبط القذيفة نعلم أننا نملك خمس دقائق فقط قبل هبوط القذيفة التي تليها، خمس دقائق هي التي تسمح لنا بوضع المصابين في أقرب سيارة كي ننقلهم إلى المشفى الميداني، أو تسمح لمن يريد الهروب مع عائلته أن يستقل سيارته مسرعاً للخروج من الحي... بالطبع لا أحد منا يمتلك الجرأة للتجول بحرية بالسيارات بسبب وجود القناصين على أسطح معظم الأبنية، حتى أننا اعتدنا إطفاء أنوار السيارات لتفادیهم، منطلقين بسرعة تتجاوز المئة حتى نصل إلى نهاية الشارع، حيث نضع الجرحى في عهدة أطباء نذروا كل ثانية من حياتهم لإنقاذ ما يستطيعون إنقاذه، ونعود كي نساعد قبل موعد القذيفة التالية، إن استطعنا.

هذه المرة لم نكن بالسرعة المعهودة، كانت القذيفة الثانية أسرع منا، لتحط بالقرب مني... كانت قريبة جداً... أقرب مما تتصورين... ربما عن قصد... ربما لا... "

أنفاسه التي بدأت تتسارع لم تسمح له بإتمام عبارته، يده كانت ترتجف وهو يضع السيجارة في فمه... وبالكاد استطعت أن أسمع صوته فيما هو يكمل ما حدث في ذلك اليوم المريع:

"أجساد بلا رؤوس وأخرى بلا يدين تحيط بي... أحسست بالدماء تسيل على وجهي ويدي وقدمي، ألم غريب بدأ في عيني اليمنى... وقبل أن أصرخ أو أفهم أي شيء مما يجري حولي امتدت يد نحوي لتقتادني نحو السيارة... استعدت توازني قليلاً ومشينا بأسرع ما نستطيع... اقتربت لأفتح باب السيارة... لمحت في الزجاج انعكاساً لصورتي... رأيت بقايا وجه وبقايا روح... لكن، لا وقت للتفكير الآن، علينا أن ننطلق بتلك السرعة الجنونية نحو المشفى الميداني... هناك، لا مكان للألم، ولا وقت كي تفكري بجرحك أو دمائك، فما دمتِ قادرة على الوقوف والمشي عليك أن تساعدي غيرك ممن لا يستطيعون الحركة... "

كان يكلمني دون أن ينظر إلي... عينه المطفأة كانت تعكس خيالات لأجساد تناثرت دماؤها أمامه، تعكس أحلاماً ماتت ودفنت على مرأى من أصحابها... عينه الجريحة كانت ترسم صورة ذلك المشفى، وصور الأطباء الذين تعشقت في ثيابهم رائحة الخوف، والدم، وبقايا الأجساد المرمية هنا وهناك... في عينه التي لم تعد عيناً، وقف ذلك الرجل العجوز الذي تجاوز عامه السبعين، بردائه الأبيض المصبوغ بالدماء، باحثاً بين الجثث المغطاة عن جثة ابنه... ترتجف يده وترفع الغطاء مسبوقةً بصلاةٍ خافتةٍ وجدت طريقها بين شفاهه، يتعثر الزمن بعد كل حركة وبين الجثة والأخرى يستعيد أنفاسه، بين الجثة والأخرى وجوهٌ كثيرة، وابنه ليس واحداً منها إلى الآن... يجر جسده الذي أنهكه الألم، وكأن روحه صارت تزن أكثر من قدرة رجلٍ عجوز على الاحتمال... بقي القليل... وروحه تتوجع أكثر... جسده يغدو أثقل.. بقي القليل جداً... لكن الموت لم يستطع التأخر أكثر، لم ينتظره ليعلم مصير ابنه... أو ربما اختار له ألا يعلم ليحفظ له ما تبقى من نور كي لا يضل طريقه إلى السماء... ربما الموت يعلم أكثر منا متى يكون وقت الرحيل....

"لم أبكِ يوماً كما بكيت ذلك الرجل... رأيت فيه بلدي الضائع الذي ما فتئ يبحث كل يوم بين جثث أبنائه عن رمق حياة أخير مقاوماً تلك القوة التي تريد إرغامه على إغلاق عينيه وتسليم روحه لظلام أبدي... "

غالبت دموعي كي أدع "عبد الله" يكمل حديثه:

"لم يكن أمام الأطباء وقت كافٍ لمعالجتي... ضمد لي أحدهم جراحي بسرعة وأمضيت بقية الوقت في مساعدتهم. في اليوم التالي قررنا أنا وأهلي التوجه إلى أحد المشافي في دمشق كي أتعالج. لكن يبدو أنني اخترت المشفى الخاطئ، فبمجرد أن عرف موظفوه أنني من حمص ورأوا إصابتي، استقبلوني بكل جفاء... تمت معالجتي بشكل جيد، لكن في اليوم التالي دخلت إحدى الممرضات الغرفة لتقول لي إن عناصر من الأمن جاؤوا منذ قليل باحثين عني... وضبنا الأغراض وساعدتنا في الخروج من المشفى بأسرع ما استطعنا... وها نحن ذا في هذا المنزل بانتظار أن أشفى وأن يصبح بإمكاننا العودة إلى حمص... "

"عبد الله" لم يتأقلم مع أي شيء مما حدث كما قال لي "نضال"... أحس أنه لم يعي بعد، بشكل كافٍ، ما حصل معه في ذلك اليوم... على وجهه يرتسم حزن عميق رغم ابتسامته التي تطغى على جميع ملامحه... ينتفض عندما يسمع صوت قنبلة ما قد ترافق أحد المشاهد التي تبث من حمص على "الجزيرة مباشر"، وعندما يعلو صوت رصاص من مكان قريب يرتعش جسده رغم الجهد الذي يبذله لإخفاء ذلك...

"عبد الله" أصبحت لديه الآن ذاكرة خاصة به لا تشبه ذاكرة أي أحد آخر، لكنها تتقاطع مع ذاكرة وطن وجوع الملايين للحرية والأمل... هي جزء من ذاكرة سوريا، من ذاكرة أطفأ "عبد الله" من أجلها عيناً وآخرون أطفأوا أجسادهم كلها ليعيدوا كتابة تاريخٍ استحقوه واستحقهم...

عن صباح سوريا

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (11062)

دمشق: 259
ريف دمشق: 1006
حمص: 4349
حلب: 351
حماه: 1367
اللاذقية: 216
طرطوس: 26
درعا: 1139
دير الزور: 400
الحسكة: 68
القنيطرة: 20
الرقة: 45
ادلب: 1809
السويداء: 9

770 عدد العسكريين
10292 عدد المدنيين
441 عدد الإناث
259 عدد الأطفال الإناث
694 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 12 / 5 / 2012
http://vdc-sy.org